

عبد الرزاق الهلالي

الزهاوي ناقدا

بقلم عبد الرزاق الهلالي

***

لقد حاولت في مقالي الذي نشرته في عدد « الاديب » الصادر في شهر اغسطس سنة ١٩٧٢ ، بعنوان « حقائق جديدة في حياة الزهاوي » ان اضع بين يدي القراء ، ومؤرخي الادب العربي الحديث ، ما كنت قد كشفت عنه من حقائق في حياة شاعر العراق الكبير جميل صدقي الزهاوي !

وقد قلت في خاتمة مقالي ذاك ما نصه « وبعد : فهذه عشر حقائق ، اقدمها لقراء مجلة الاديب الزاهرة ، ارجو ان اكون قد وضعت بعرضها ، بين ايدي الدارسين والباحثين ، مادة حرية بالتقدير والاهتمام ... »

واليوم ، وانا اتحدث للقراء عن « الزهاوي ناقدا » يطيب لي قبل هذا الحديث ، ان اثبت ما كتبته في مقالي المشار اليه اعلاه عن « الزهاوي ناقدا » حيث قلت :

ثانيا : لقد ظهر لي ، وانا ادرس حياة هذا الشاعر ، الفكرية والادبية ، بانه قد قام بنقد عدد من كبار الشعراء ، فقد نقد شعر الاستاذ عباس محمود العقاد ، ونشر نقده هذا على صفحات مجلة « لغة العرب » في اعدادها الصادرة سنة ١٩٢٨ . كما انه نقد ثلاث قصائد من ديوان « الشوقيات » ولكنه وهو ينشر فصول هذا النقد ، لم يكن يوقع عليها ، لا باسمه الصريح ولا بتوقيع مستعار !

ثم انه نقد شعر الاستاذ الرصافي بمقالات عدة ، نشرها بتواقيع مستعارة على صفحات جريدة « الفيحاء » الدمشقية . وقد تسنى لنا جمع فصول هذا النقد من مظانها المختلفة ، تمهيدا لنشرها في كتاب اسميناه « الزهاوي ناقدا » .

هذا ما قلته عن هذه الحقيقة ، أي حقيقة ، كون الزهاوي ، هو الذي نقد شعر كل من الرصافي وشوقي والعقاد ، على صفحات جريدة الفيحاء الدمشقية سنة ١٩٢٥ بالنسبة لشعر الرصافي ، وعلى صفحات مجلة « لغة العرب » البغدادية سنة ١٩٢٨ بالنسبة لشعر كل من احمد شوقي والعقاد !!

فهل كانت هذه الحقيقة خافية عن القراء آنذاك ، حتى نأتي اليوم ، فنقدمها حقيقة جديدة ؟! الواقع ، ان هذه الحقيقة كانت خافية تماما بالنسبة لنقد شعر شوقي والعقاد ، ذلك لان المقالات التي نشرتها مجلة « لغة العرب » كانت غفلا عن أي توقيع صراحة او استعارة ، الامر الذي حدا بالاستاذ العقاد نفسه ، لمهاجمة صاحب المجلة الاب انستاس ماري الكرملي ، هجوما شديدا قاسيا ، حين رد على هذا النقد على صفحات مجلة « البلاغ الاسبوعي » !

وقد ثبت لنا بما لا يقبل الشك ، ان كاتب تلك المقالات النقدية هو الاستاذ جميل صدقي الزهاوي ، والدليل على ذلك ، (المسودات) الاصلية لتلك المقالات فقد وفقنا بالوقوف عليها ، وتصويرها كاملة بارشاد الاستاذين الصديقين كوركيس عواد وميخائيل عواد .

ولقد كان لعثورنا على (مسودات) نقد ديوان « العقاد » وعلى (مسودات) نقد ديوان « الشوقيات » الدافع الاكبر لاخراجها بكتاب مستقل ، يضم معها تلك المقالات الطويلة التي نشرها الزهاوي على صفحات جريدة « الفيحاء » الدمشقية في نقد شعر الاستاذ معروف الرصافي !

ان هذه المقالات التي نقد بها شعر الرصافي ، وان كان نشرها بتواقيع مستعارة ، الا انها كانت معروفة من قبل الرصافي وانصاره، بانها بقلم الزهاوي نفسه ، وان تستر بتوقيع « كاتب عربي كبير » او « ابن جلا » !!

ولقد بحثت عن هذه المقالات فتمكنت من استنساخها بمساعدة الاستاذ الشاعر الاخ احمد الجندي ، فتأكدت ان هذه المقالات بقلم الزهاوي حقا ، عندما قرأت في عدد الجريدة الصادر يوم (٨ - ١ - ١٩٢٦) ما قاله صاحب الجريدة، حول هذه المقالات وهو قوله « وبهذه المناسبة نعلن للقراء ، ان كاتب سلسلة المقالات في نقد الرصافي التي نشرنا في هذا العدد آخر حلقة منها ، هو استاذنا الزهاوي ، حفظه الله ! »

وهكذا ، بوقوفنا على (مسودات) نقد شعر شوقي والعقاد ، وعلى مقالات نقد شعر الرصافي ، أصبحت في حوزتنا مادة وافرة ، حرية بالجمع والنشر ، واستنادا الى هذا قررت اخراجها كتابا بعنوان « الزهاوي ناقدا » رغبة مني في ايقاف الدارسين والباحثين (لا سيما اساتذة النقد الادبي منهم) على هذه الفصول النقدية التي كتبها شاعر كبير ، ناقدا شعر ثلاثة من فطاحل الشعراء في عصره ، الا وهم، احمد شوقي والرصافي والعقاد !!

وبمناسبة الاشارة الى كتابي (المخطوط) هذا ، أقول ، انني عندما كنت في القاهرة (ربيع عام ١٩٧٢) قصصت على الاستاذ صالح جودت ، رئيس تحرير مجلة « الهلال » الاغر ، قصته ، فسر لهذا الكشف ، وقال ان دار الهلال ترحب بنشره ، اذا اقتصر على نقد شعر شوقي والعقاد ، حتى يقل عدد صفحاته تمهيدا لاصداره في سلسلة كتاب « الهلال » ، فاستحسنت الفكرة وقلت لا مانع عندي بذلك ، وسأجعل عنوان الكتاب « الزهاوي بين شوقي والعقاد » . ولما عدت الى بغداد عملت على تنفيذ الفكرة وبعثت بمسودات الكتاب الى الاستاذ جودت على أمل نشره قريبا ، الا اني علمت بعد انتظار طويل ، ان النشر قد يجد سبيله في (مطابع) سنة ١٩٧٤ ، فتجاه هذه الحقيقة آثرت اعادته تمهيدا لنشره في فرصة اقرب ان شاء الله !

اردت بايراد هذه القصة ان اعلم القارىء ، بأني سأجعل من كتابي الذي اسميته « الزهاوي ناقدا » كتابين ، الاول بعنوان « الزهاوي بين شوقي والعقاد » والثاني « الزهاوي وشعر الرصافي »

ولما كنت اعتقد ان نشر هذين الكتابين ، سيكشف عن الصراع الفكري والادبي في تلك الفترة من حياة ادبنا العربي الحديث ، ويعطي أساتذة الادب صفحات رائعة من صور النقد آنذاك ، فاني لكل هذا أعلن عن استعدادي للاتفاق مع أي دار للنشر في الوطن العربي ، ترغب في نشر هذين الكتابين ، او احدهما !

اكتفي بهذا القدر من الحديث عن الكشف عن هذه الحقيقة الجديدة في حياة الزهاوي ، ليتسنى لي اعطاء القارىء الكريم بعدها ، نماذج من نقده لشعر هؤلاء الكبار ، واليه هذه النماذج !!

اولا – الزهاوي وشعر الرصافي :

اقدم فيما يلي الحلقة الاولى التي نشرها الزهاوي في العدد الصادر يوم (٧ – ٨ – ١٩٢٥) من جريدة الفيحاء الدمشقية تحت باب (النقد الادبي) وكانت بعنوان (الرصافي) قال :

الرصافي

بقلم كاتب عربي كبير

لقد ثبت لعلماء الادب اخيرا ، ان الشاعر لا يكبر الا اذا كبر علمه ، وان الشعر الذي لا سند له من العلم ، هو كالكوكب المؤقت ، تظهر آونة بعد اخرى ، في اجواء السماء ، ثم تخمد ولا تظهر ! والرصافي يعيش في العصر العشرين ، ولكنه جاهل علوم عصره ، ولذلك ، لم ينضج شعره . واذا قال ، فكأنه يغني لابناء العصور الوسطى ، فهو قديم ، وان تأخر زمانه !

والشاعر الجاهل لعلوم عصره ، لا تعلو روحه ، فلا يعلو شعوره ، ومع ذلك لا يعدم شعره من اعجاب كثير من طبقته الذين يشعرون مثل شعوره ! وكذلك الرصافي ، له معجبون ، بشعره ، وان ركب الشطط فيه ، ونظم لا عن شعور ، فأسرف في المبالغة . فاذا سألت هؤلاء ماذا يعجبكم من شعره ؟ قالوا : جزالته ، وقوة عربيته !! وما جزالته التي هي محور اعجابهم غير كلمات غريبة ، هي من مهجور اللغة ، أتى بها في شعره ، والناس مفطورون على اكبار ما يجهلونه . وقد غاب عن المعجبين به ، ان قوة العربية ، في ذكر الفصيح من الكلم ، وعدم الخطأ عند استعمالها ، لا في الالفاظ المهجورة ! وفي سبك الكلام طبقا للقواعد العربية ، لا في خرقها ! وفي اختيار التراكيب السهلة ، لا في تعقيد الكلام ! وفي الاقتراب من الحقيقة ، لا في النزوح عنها ، بالمجاز والاستعارة البعيدين عن المعقول !

الرصافي ، يفكر بعقل غيره ، فلا ينظم عن شعور ، وانما يستخرج في الغالب ، معاني ابياته من القافية !! واذا انعمت النظر في ديوانه ، وقصائده ، بعد ديوانه ، رأيت فيها الجيد نزرا ، والرديء جما !! فهناك (الضرورات) من قصر الممدود ، ومد المقصور ، واسكان المنصوب ، في وسط البيت ، واستعمال اللام مكان الى ، والى مكان اللام ، والاكثار من ضمير الشأن ، والمهجور من الكلمات ، والمجاز والاستعارة ، بعيدين عن حد المعقول ، وقطع همزة الوصل ، ووصل همزة القطع !! وهناك التقليد للقديم ، وهناك السخف والخروج عن المعقول ! وهناك السرقات الفاضحة – ومن عادته ان لا يسرق الا ما اشتهر من الابيات – وهو في الغالب يشوه ما يسرقه !! وهناك الخطأ الكثير في المسائل العلمية ، وهناك المبالغات التي لا تمشي مع الادب العصري ! وهناك الحشو البارد ! وهناك الجناس ، وكثير من الصناعات البديعية التي ذهبت دولتها !! وهناك التناقض في القصيدة الواحدة ! وهناك الغلط الكثير ، اللغوي والنحوي ، فهو لا يمشي بضع خطوات ، الا ويعثر عشرة !!

وقد عزمت على نقد ديوانه ، وقصائده خارج الديوان ، في سلسلة مقالات متتابعة ، ذرعها سبعون ذراعا ، قسم منها في سرقاته ، وقسم في غلطه النحوي واللغوي ، وقسم في مبالغاته وخروجه عن المعقول ، الى غير ذلك ، من عيوبه في شعره ، فأكشفه عن زيفه ، خدمة للادب العربي ، غير مبال ولا وجل !! وسيعلم القراء منزلة الرصافي ، في العربية ، ويعلم القراء شاعريته ، ويعلم القراء ، سرقاته من الشعراء ، ويعلم القراء ، انه شاعر مقلد لا غير !

رأيت قصيا كان شيئا ملفقا   فكشفه التمحيص حتى بدا ليا

وليس ما اكتبه مجرد الظن ، بل لا أصمه الا بما اورد عليه الشواهد من شعره ، ومع ذلك لا أتأخر عن ذكر ما اجد له من المحاسن في شعره ، وان كانت قليلة ، شأن الناقد النزيه عن الاغراض !

سرقات الرصافي :

من يقرأ قصيدة الاستاذ الرصافي « العالم شعر » ص ٦٢ من ديوانه ويقرأ قصيدة الشاعر التركي « محمود اكرم رجائي » في زمزمته المطبوعة سنة ١٢٩٩ هـ ، وهذا ايضا ضرب من الشعر المحزن، يعلم حق العلم ان الاولى مأخوذة من الثانية ! فان الشاعر التركي قال في اول قطعة من قصيدته ما ترجمته « ايها الطالب لاحسن الاشعار ، انظر الى ما فوقك وما تحتك ، فان جميع ما تشاهده في الطبيعة ، شعر ، وجميع ما تسمعه شعر ! » ثم اخذ في كل قطعة منها يصور لك منظرا من المناظر ، ويختمها اما بقوله هذا ايضا من أرق الشعر ، او ادهش الشعر ، هكذا لكل حلقة واحدة من هذه الكلمات ...

وكذلك الرصافي قال في اول قطعة من قصيدته ما ملخصه « قرأت سفر الطبيعة ، صحائف تحوي كل فن من الشعر ، والايام تنظمنا شعرا ، والمنايا ترده الى النثر !! » ثم صور في كل حلقة منها لوحا من الواح الطبيعة وختمها بقوله « وهذا الشعر من افجع الشعر او اعجب الشعر او أحزن الشعر او اقتل الشعر !! » وكثير من المناظر في القصيدتين متشابه !!

قال ص ١٩ :

ولولا خروق في الدجى من نجومه   قبضت على الظلماء بالانمل العشر

وقد أخذ المعنى من كلمة الشاعر التركي « نامق كمال بك » في رسالته « الرؤيا » وهي التي ترجمها الى العربية الاستاذ نفسه ، وتعريبها « وكان الظلام كثيفا حتى كاد المرء ان يقبض عليه بيده ! »

وقال :

وطاطأن للتسليم منهن أرؤسا   عليها أكاليل ظفرن من الشعر

وقد أخذه من بيت ابن المعتز :

مزنرين على الاوساط قد جعلوا   على الرؤس أكاليلا من الشعر

وقال ص ٢٤ :

جبلنا على حب الحياة وانها   مخيفة أحلام أطافت بحالم

وقد أخذه من البيت المشهور للمعري :

ولعل دنيانا كرقدة حالم   وبالعكس مما نحن فيه تعبر

وقال :

سعى الناس والاقدار مخبوءة لهم   وناموا وما ليل الخطوب بنائم

وقد أخذه من بيت جرير :

قد لمتنا يا ام غيلان في السرى   ونمت وما ليل المطي بنائم

وقال ص ٢٦ :

وليس الذي آسى له فقد هالك   ولكن ضياع المفجعات الكرائم

وقد أخذه من قول القائل :

لعمرك ما الرزية فقد مال   ولا شاة تموت ولا بعير
ولكن الرزية فقد حر   يموت بموته خلق كثير

وقال :

اذا ما رأينا واحدا قام بانيا   هناك رأينا خلفه ألف هادم

وقد أخذه من البيت المشهور وهو :

أرى ألف بان لا يقوم بهادم   فكيف ببان خلفه ألف هادم الخ

ثانيا – الزهاوي وشعر شوقي :

ولما اخرج امير الشعراء « احمد شوقي بك » ديوانه الاول « الشوقيات » في سنة ١٩٢٨ ، تناول الزهاوي نقد ثلاث قصائد منه ،

على صفحات مجلة « لغة العرب » البغدادية ، اعتبارا من عددها الصادر في شهر نيسان من تلك السنة . ونقدم للقارىء نقده للقصيدة الاولى حيث قال :

نقد القصيدة الاولى من الشوقيات

لا يخرج شعر شوقي بك ، في الاكثر ، من افكار متناقضة لا صلة لها بالطبيعة او الحقيقة التي تستند اليها ، وتفاهة ، وتقليد للقدماء !! خذ مثلا قصيدته (الهمزية) في اول ديوانه فانها نموذج على ذلك !!

قال ص ١ :

همت الفلك واحتواها الماء وحداها بمن تقل الرجاء

ولا ادري ، أانزلت في الماء ، الفلك ، التي أقلت من فيها ساعة ركوبهم ، ليحتويها الماء حينئذ ؟! أم ، لم يكن الماء محتويا اياها قبل ان تهم ؟! وهل كان رجاؤهم هو الذي حداها ؟!

وقال :

ضرب البحر والعباب حواليها سماء قد اكبرتها السماء

وفي البيت مبالغة ذميمة ، فان البحر ليس بشيء يذكر بالنسبة الى سعة السماء ، فكيف تكبره هذه ؟!

وقال :

ورأى المارقون من شرك الارض شباكا تمدها الدأماء

وجبالا موائجا في جبال تتدجى ، كانها الظلماء

وأنت ترى ، انه شبه فيهما امواج البحر ، تارة بالشباك ، واخرى بالجبال الموائج ، على ما بينهما من الفرق !! ومعنى (تتدجى) تظلم !! فكأنه يقول : تظلم كأنها الظلماء !!

وقال :

ودويا كما تأهبت الخيل وهاجت حماتها الهيجاء

وكلمة (ودويا) معطوفة على قوله (ورأى المارقون من شرك الارض شباكا .. وجبالا) ولا أدري ، أيرى الدوي ؟! ام يسمع ؟!

وقال :

لجة عند لجة عند أخرى كهضاب ماجت بها البيداء

والهضاب في البيداء ثابتة ، فلا يحسن تشبيه لجج البحر بها ، كما لا يحسن اسناد الموج الى هضاب البيداء !! وقال :

نازلات في سيرها صاعدات كالهوادي يهزهن الحداء

شبه السفين في البحر ، في نزولها وصعودها ، بالابل التي يهزها الحداء !! والمقصود من النزول والصعود ، هو ابتعادها عن الانظار ، واقترابها ، فلا وجه لتشبيهها ، من هذا الوجه بالابل التي تهتز للحداء !!

ثم ماذا ، حدا بامير الشعراء ، في القرن العشرين ، ان يشبه البواخر بالابل ؟ ألم يمض زمان التغني بالابل ، والتشبيه بها ؟!

وقال :

رب ان شئت فالفضاء مضيق واذا شئت فالمضيق فضاء

لا صلة لهذا البيت ، بما قبله او بعده ، وانما هي (الصنعة) — طرد العكس — هي التي حببت اليه اثباته في مكانه ! والا فان هناك بحرا رحبا ، ولا فضاء قد صار مضيقا ، ولا مضيق قد صار فضاء !!

وقال :

فاجعل البحر عصمة وابعث الرحمة فيها الرياح والانواء

يدعو أمير الشعراء ، ان يبعث الله الرحمة ، فيها الرياح والانواء ! وهو في البحر كأنه (طائر البحر) الذي يأنس بالزوابع !! وهل يكون البحر عصمة اذا هبت الرياح والانواء ؟!

ثم اخذ (يتصوف) في ابيات ، ثم (طفر) يتكلم عن (النجار) ولكن بشعور (عرب الجاهلية) فقال :

يا زمان البخار لولاك لم تفجع بنعمى زمانها الوجناء

وهل كان تحميل الناقة ، والسير عليها اياما وليالي في القفار ، نعمى لها ؟! حتى تفجع بسبب البخار ؟!

وقال :

فقديما عن وخدها ضاق وجه الارض وانقاد بالشراع الماء

فهل صحيح ، ان وجه الارض في القديم ، كان يضيق عن سير الابل ؟! وان كان صحيحا ، فالابل أفضل من البواخر !! وهو في مقام تفضيل البخار عليها كما يدل عليه البيت في قوله (لولاك لم تفجع الوجناء) !!

واذا كان الماء قبل وجود البخار ينقاد بالشراع ، فما فضل البخار عليه ؟!

ثم اتى بابيات ، كلها مبالغ فيها ، مبالغة شعراء القرون الوسطى ، الى ان قال :

تشفق الشمس والكواكب منها والجديدان والبلى والفناء

ولا اعتقد ان شوقي عندما قال هذا البيت ، كان يعتقد ان الشمس والكواكب ، كانت تخاف من قبور الفراعنة !! ثم تأتي ابيات (سخيفة) وأخر (عامرة) وقال :

ليت شعري والدهر حرب بنيه وأياديه عندهم أفياء

ما الذي داخل الليالي منا في صبانا والليالي دهاء

واظن كهنة مصر الاقدمين ايضا يعجزون عن فهم ما يريده منهما أمير الشعراء !!

وقال وراءهما :

فعلا الدهر فوق علياء فرعون وهمت بملكه الارزاء

ولا ادري ، أي فرعون ، يعني منهم ، فهم كثار ؟! وهمت اذا تعدى بـ (الباء) فهو بمعنى (نوى الشيء او قصده ولم يفعل !) فهل يريد ، ان الارزاء ، ارادت ان تلم بملك فرعون فلم تفعل ؟! وهو خلاف الواقع !!

ثم تأتي ابيات ، ركيكة ، قلقة القوافي ، لا تمت حتى الى الشعر القديم بواشجة !!

وقال :

قد اذل الرجال فهي عبيد واذل النفوس فهي اماء

جعل (الرجال) عبيدا ، وجعل (نفوس الرجال) اماء ، فهل نفوس الرجال ، غير الرجال ؟! ام هو يلعب بالالفاظ ، فيجعل النفوس اماء ، لانها جمع (نفس) وهي مؤنثة من حيث اللغة ، سماعا !!

فهلا قال في الشطر الثاني :

وأذل النساء فهي اماء !!

وقال بعد بيت :

ولقوم نواله ورضاه ولاقوام القلى والجفاء

ففريق ممتعون بمصر وفريق في ارضهم غرباء

واذا كان رجال مصر يومئذ ، أذلاء ، عبيدا ، ونفوسهم اماء ، كما صرح في البيت المتقدم ، فمن هو الفريق الممتع في مصر ؟!

ثالثا — الزهاوي وشعر العقاد :

وحين أصدر الاستاذ عباس محمود العقاد ، ديوانه سنة ١٩٢٨ ايضا ، بدأ الزهاوي ، بنقد ما جاء فيه ، على صفحات مجلة « لغة العرب » دون ان يذكر اسمه كما فعل حين نقد شعر شوقي ، وكانت اول حلقة نشرها من هذا النقد الطويل هي تلك التي نشرها في عدد المجلة الصادر في شهر نيسان من هذه السنة .

ونقدم فيما يلي جانبا مما قاله في هذه الحلقة :

ديوان العقاد

الاستاذ العقاد ، كاتب كبير ، وكنا نعتقد انه كذلك ، شاعر كبير ، حتى جاء ديوانه الجديد ، حافلا بما نظمه ، قديما وحديثا ، فاذا هو دون ما اكبره تصورنا ! واذا هو مشحون بالاغلاط والضرورات القبيحة! واذا هو قبر للمعاني الميتة ، دارس فيه كثير من العظام البالية !!

واذا هو تافه المعاني في الاكثر !! واذا هو في كثير من قصيده

قلق

أمن ها هنا الدرب ، لا نجمة　　مسلية في الدياجي ؟ .. وسرت
سمعت ، ولكن فحيح المنى　　رأيت ، ولكن سرابا رأيت
غريب انا ، ملء صدري لحون　　فرادى .. كأني بها قد عرفت
حروفي مرايا لعري الحياة　　وانت سكنت بها او سكنت
غموض ، واي غد في الغموض　　هو الفكر املى ، واني كتبت

بلادي ، واين القناديل ؟ جئت　　اليك .. اما في القناديل زيت

حلب ـ دار الكتب الوطنية　　علي الزيبق

يخرج عن الموضوع ، فلا تبقى فيه (الوحدة) المتوخاة منه !!

واذا هو يبالغ ، او يغرق في كثير من ابياته ! واذا هو يقلد القدماء ، فليس فيه ما يمت الى الشعور بواشجة ، الا ابياتا قليلة ، متفرقة ، هنا او هناك !!

وكنا نراه قبل نشره ديوانه ، يطعن في مواهب كبار الشعراء ، بل كان ينال من كل شاعر عربي تقريبا . مصريا كان ، او شاميا او عراقيا ، فما كنا نفهم علة ذلك بعد سكوته الطويل عن الشعر والشعراء حتى ظهر ديوانه العجيب ، فادركنا السر !!

وقد دفعني ، حبي للادب ، ان انقده نقدا نزيها ، كما هو عادتي ، عند ظهور كل ديوان لاديب قد اشتهر ، فاذكر ، على سبيل الاجمال ، ما أجده فيه ، من الحسنات والسيئات ، ففعلت ، وعسى ان لا يسوء الاستاذ نقدي هذا ، ولي شفيع من قوله في صدر ديوانه :

فيه من الحكمة والغباء
فليلق بين القدح والثناء
ما شاءت الدنيا من الجزاء

ولما كان اظهار كل ما فيه ، من زيغ وشطط ، يحتاج الى زمان طويل ، اكتفينا بذكر ما هو بارز ، من الاغلاط ، او سخيف من المعاني ، غير مغفل التنويه ، بما أجاد فيه ، فبرز على غيره ، ولله وحده العصمة !!

قال ص ١٩ : من قصيدة « فرضة البحر » :

قطب السفين وقبلة الربان　　يا ليت نورك نافع وجداني

ان كان يريد (فرضة) خاصة ، فهذه ليست (قطب) السفين!! و (قبلة) كل ربان ، كما يفهم من الاطلاق !! وان اراد (الفرضة) عامة ، فما تعلقها بوجدانه ، ليكون نورها نافعا له او غير نافع ؟!

وقال :

يزجي منارك بالضياء كأنه　　أرق يقلب مقلتي ولهان

يزجي ، يتعدى بنفسه لا ب (الباء) !!

وقال :

وعلى الخضم مطارح من ومضة　　تسري مدلهة بغير عنان

المطارح ، هي المواضع التي تطرح اليها الاشياء ، وهي من البحر، المواضع التي يصيبها ومض المنار ، وهذه ثابتة لا تسري ، بل الذي يسري ، هو ، ومض المنار ، وهو غير المطارح !!

وقال :

تخفي وتظهر وهي في ظلمائها　　باب النجاة وموئل الحيران

افهم ، ان تكون مطارح ومض المنار (في ضيائها) باب النجاة وموئل الحيران ، ولا أفهم ان تكون كذلك في ظلمائها !!

وقال :

فكأن ضوء منارها ، نار القرى　　لو كان يبعث ميت النيران

ولا ادري ، لماذا جعل ـ ميت النيران ـ ممتنعا كما يدل عليه (لو) ؟! ولماذا علق كون ضوئها مشبها (نار القرى) ببعث (ميت النيران) ؟؟

وقال من قصيدة (عزاء) :

يا شاكيا وصبا أحاط بنفسه　　اربع عليك لكل يوم كوكب !

وقد شرحه بقوله (ان الايام تختلف كواكبها ، فيوم للنحس ، ويوم للسعد !) واني استحلف القراء ، هل يفهمون قوله (لكل يوم كوكب) هذا المعنى ، قبل مراجعة الشرح ؟!

وقال :

يشكو من الدنيا الألى لولاهم　　ما كانت الدنيا تحب وترغب

ورغب فعل لازم ، لا يبنى منه المجهول ، الا بحرف الجر !! و (رغب) لا يحذف منه حرف الجر ، لانه يتعدى بحرفين مختلفين (فيه وعنه) ويختلف معناه بموجبهما ، فاي معنى يريده منهما ؟!

وبعد :

... فتلك هي ثلاثة نماذج من نقد الاستاذ الزهاوي ، لشعر هؤلاء الشعراء الكبار ، رغبنا في نشرها على صفحات مجلة « الاديب » الزاهرة ، لاعطاء القراء (لا سيما المعنيين منهم بامثالها) فكرة عن الاسس النقدية التي استند اليها الزهاوي في نقده ، ولنؤكد لهم ، بان هذه الفصول التي سنخرجها في كتابين هما كما قلنا « الزهاوي بين شوقي والعقاد » و « الزهاوي وشعر الرصافي » ستكون فصولا حرية بالتقدير والاهتمام !!

بغداد　　عبد الرزاق الهلالي

العرب وشعر الشعوب

بقلم نسيب الاختيار

* * *

في التراث العربي ، كما في تراث اي شعب من الشعوب ، زوايا مجهولة قابعة في الظلال ، وقد يكون الدافع لتوسدها كهوف العتمة ، ان وسطها لم يكن مؤهلا لتفهم محتواها ، فلم تنفتح براعمها في الموسم الذي طلعت فيه ، او ان هذا الوسط كان لا يرتاح لامتدادها ، فطواها ، وحاول لفها في سجف النسيان ، او ان هذه الزوايا بالذات لم تمارس تأثيرا معينا في حينها ، فلم يدرك الناس مدى هذا التأثير ، الا بعد مرحلة من التاريخ .

ان الزوايا المجهولة من اي تراث ، لا يمكن لها ان تبقى ابدا مجهولة ، فيما اذا كانت تحمل في ذاتها عناصر وجودها المبدع ، لان العناصر المبدعة مثل الحياة تفيض ولا تغيض واذا كمنت فسرعان ما تنبثق .

لقد تعرض التراث العربي الى ما يلقي الظلال على بعض جوانبه ، ليحجب هذه الجوانب عن النور فاغفلها المؤرخون ، لاسباب متعددة ، وبواعث مختلفة ، جوانب من تراثنا لها اهمية كبرى ، في حياتنا الفكرية والادبية ، ومن يغفلها منهم جملة ، اشار اليها في ايجاز واقتضاب .

من هذه الجوانب المجهولة في تراثنا العربي الشعر الاجنبي ، ومدى تأثيره على الشعر العربي وما اذا كان العرب في سالف ايامهم ، قد تعرفوا او الموا بطرف من اطراف شعر الشعوب القديمة .

الاعتقاد السائد لدى كثير من مؤرخي الادب العربي ، ان القدامى من ادباء العرب وشعرائهم ، لم يعرفوا الشعر الاجنبي ولا تعرفوا عليه ، وخاصة الشعر الاغريقي ، على ما كانت لهم من احاطة واسعة بفكر الاغريق وفلسفتهم .

الواقع ان هذا الاعتقاد ، لا يلزم الصواب بل يجانبه ، فقد عرف الاقدمون من مؤرخي الفكر والادب العربي ، اثار الاغريق وغير الاغريق ، من قادة الفكر والادب والفن في القرون الخالية ، وان كانت المعرفة على درجات متفاوتة ، اختلفت قوة وضعفا ، باختلاف قوة وضعف العوامل التي دعت الى التعرف عليها .

ونحن اذا عدنا بانفسنا الى آثار المؤرخين العرب ، الذين تحدثوا في اثارهم ، عن تاريخ المعرفة الانسانية في مختلف صورها ، الفكرية والوجدانية ، نلاحظ ان هؤلاء المؤرخين كانوا على بينة من امر شعراء الشعوب القديمة فقد اشار القفطي في كتابه « اخبار الحكماء » الى ثلاثة من شعراء اليونان (هوميروس وتوسيوس وابرخس) ، ونقل لهم في كتابه مقطوعات يسيرة من شعرهم . كما نقل طرفا من شعر (افلاطون) في كلامه عن حياته .

ولم يقف الامر بالمؤرخين العرب عند هذا الحد بل ان بعض النقلة ، ترجموا كتاب ارسطو في الشعر الى العربية ، كما فعل (ابو بشير متى ويحي بن عدي) .

ان هذه المعرفة ، بالشعر اليوناني ، وان كانت محدودة الافق ، ولكنها تلقي ضوءا على حقيقة تاريخية ، وهذه الحقيقة هي ان الوسط الثقافي العربي ، لم يكن في معزل عن الحياة الشعرية لدى الشعوب القديمة ، وان هذا الوسط لم يتعرف على انماط من الشعر القديم فحسب ، بل انه تعرف ايضا على آراء وافكار القدامى في الشعر .

ولكن الامر الجدير بالملاحظة هو ان هذه المعرفة لم تكن من القوة بمكان ، تستطيع معه ان تمارس تأثيرا مباشرا على الشعر العربي القديم ، وان يتجلى هذا التأثير بصورة واضحة على مسارح افكار ومشاعر شعراء العرب .

واذا استقصينا الاسباب الاولية التي ادت الى ضعف هذا التأثير ، يتبين لنا انها ترجع الى اسباب عديدة .

اولا : اعتداد العرب بثروتهم الشعرية ، اذ كان العرب منذ القديم يعتقدون بانهم خصوا بالشعر دون سائر شعوب العالم .

ولم يكن الشعر في عرفهم ، مجرد تعبير عن حياتهم الوجدانية ، بل كان ايضا تعبيرا عن ايامهم ، فهو تحفة فنية وصفحة تاريخية معا . كما انه لم يكن للعرب من ارث فني الا الشعر ، في حين ان بقية الشعوب كان لها ارثها الفني في مختلف مجالات الفن ، فاعتد العرب بمبدعاتهم الشعرية حين لم يكن لهم غيرها من مبدعات.

ثانيا : اختلاف طريقة الشعر الاجنبي عن طريقة الشعر العربي فقد سلك الشعر الاجنبي طريقة تكاد تكون في مفهوم العربي اقرب للنثر منها الى الشعر .

فالقصيدة في الشعر الاجنبي تؤلف وحدة في التركيب والموضوع ، بينما القصيدة في الشعر العربي لا تؤلف مثل هذه الوحدة ، فالبيت الواحد في القصيدة، حتى الشطر ، يكاد يؤلف وجودا مستقلا ، وكذلك شأن القصيدة فهي في تركيبها ، مكونة من عدة ابواب .

ثالثا : يغلب على الشعر الاجنبي التشخيص والتجريد ، وفي بعض الاحايين الاسلوب القصصي ، اما الشعر العربي ، فيجانب التشخيص والتجريد ، ولا يؤلف الاسلوب القصصي مادة اولية في تركيبه .

ان العربي ، الحسي في نظرته الى الاشياء ، يصور

ولا يتصور ، ويعني بالشكل واللون ، اكثر مما يعني بالفكرة .

رابعا : كان محتوى الشعر الاجنبي القديم، محتوى وثنيا في غالبيته ، وقد جاء الاسلام يناهض كل اثر من آثار الوثنية ، في الشعر وغير الشعر .

خامسا : كان النقلة من اللغات الاجنبية من الجماعة التي غلب عليها الطابع العلمي ، اكثر من الطابع الادبي ، فلم تعر الآثار الشعرية الاهتمام الذي اعارته ، الآثار العلمية ، اذ انصرف العرب في اول عهدهم بالترجمة الى نقل ما له صلة بالطب والهندسة والحكمة وما اليها ، وظل هذا الاهتمام يحتل المكانة الاولى عبر العصور .

ولم يكن سير الحضارة في تلك الحقب من التاريخ القديم ، بمكان يتيح له مجال تحقيق تقارب قوي بين الشعوب ، كما هو الحال عليه في هذه الحقب ، فتتحقق بذلك مشاركة في الذوق الفني ، فيمارس شعر (هوميروس) وغير هوميروس تأثيرا على الشعب العربي نظير التأثير الذي يمارسه على شعبه .

على ان الامر الجدير بالملاحظة ، هو ان الشعر الاغريقي اذا لم يلعب دورا رئيسيا في حياة الشعر العربي ، فان الفكر الاغريقي قام باداء هذا الدور ، على نطاق واسع فقد مارس الفكر الاغريقي ، تأثيرا قويا وعميقا على بعض شعراء العرب ، ويمكن ملاحظة هذا التأثير في شعر (المعري) وشعر (المتنبي) وشعر المتصوفة .

ولعل اغرب ما في وجوه التقارب بين العرب والشعوب القديمة هو هذا الموقف السلبي من الشعر ، والموقف الايجابي من الغناء ، ففي مستهل النهضة العربية خلال القرن السابق والثامن اخذ الفنانون الالحان الفارسية والرومية وركبوا عليها شعرا عربيا ، ثم اخذوا من الحان الفرس والروم معا ، وركبوا على ما اخذوا من هذه الالحان المشتركة شعرا عربيا ، ولم تلق هذه الحركة الدافعة بالغناء في طريق التطور معارضة ، لا بل ان المجتمع العربي كان يحنو عليها ، ويرحب بها ، ويتقبلها ، وكان من نتائج هذه الحركة ان ظهر الغناء (المتقن) عند العرب ، ونبت ريش الكلاسيكية الغنائية التي لم يقف اثرها عند العرب وحدهم ، بل تعداه الى سائر انحاء منطقة الشرق الاوسط ، فغدا بذلك الغناء العربي ، عالميا في مجال المنطقة ، اما الشعر فقد وقف من حركة التمازج والتقارب والتجاوب موقفا ، يخالف الغناء فلم يفتح ابوابه للتطورات الجديدة التي فتحها الغناء ، فظل مغلقا على نفسه لا يتعدى تأثيره الجو العربي ذاته .

ولم يتأثر الغناء العربي بالناحية اللحنية من الغناء الاجنبي ، بل انه تأثر ايضا بالناحية الفكرية ، وكذلك كان شأن الفلاسفة العرب امثال الفارابي والكندي واخوان الصفا فقد كان لهم حظ موفور من العلوم الموسيقية لدى الشعوب الاجنبية القديمة .

لقد كان هذا مجال المعرفة في مجال الشعر ، كان معظم الشعراء في الماضي شعراء رومانتيكية ، يغلب عليها الطابع الذاتي ولم تكن هذه الرومانتيكية ، فكرة في عاطفة ، كانت مجرد اشكال والوان ، لا تتجاوز ما وراء هذه الاشكال والالوان ، ولم يكن هؤلاء الشعراء على حظ من لغة اجنبية ، كما انه لم تكن بين ايديهم مبدعات شعر اجنبية ، فظل شعرهم عربيا في تصوره وتصويره .

ان الانصراف عن اسلوب البدو في الشعر، كما يدعو الى ذلك (ابو نواس) لا يعني تجديدا جذريا في الشعر ، انه تجديد في الشكل اكثر منه في المحتوى ، تجديد لا يمكن ان يقارن بمثله في الغناء لان التجديد في الغناء العربي القديم ، كان يتمشى مع التطور التاريخي للمجتمع العربي .

اما الشعر الفارسي ، فان حظ تأثيره على الشعر العربي لم يكن بافضل من حظ تأثير الشعر الاغريقي وان كانت معرفة الجانب الثاني ، اوفر من معرفتهم بالجانب الاول ، وتأثير العرب الادبي على الفرس ابعد مدى من تأثيرهم على شعب آخر .

ان العرب الذين اجتاحوا فارس ، اعطوا فارس اكثر مما اخذوا منها . كان الشعر الفارسي في تلك المرحلة من التاريخ ، لا يحتل الذروة ، في حين كان الشعر العربي ينعم بالرقة والغنى ، وعندما بدات حركة النقل من الفهلوية الى العربية ، لم ينقل منها الا التحف الادبية نظير « كليلة ودمنة » . اما الشعر فقد اغفل واهمل ، لانه كان في مستواه ، دون مستوى الشعر العربي ، ولانه كان في محتواه يتعارض ومحتوى القيم الجديدة التي حملها العرب الى فارس ، حتى المقطوعات الشعرية التي كانت متأثرة بـ « الافستا » لم تجد لها صدى في نفوس العرب .

ولم ينطو الفكر الفارسي على اشياء جديدة ، تنعكس في الشعر ، لان الافكار الاغريقية كانت هي الغالبة عليه في تلك الحقبة من التاريخ ، فكان الشعر الفارسي في طريقته ومضمونه ، اضعف من ان يمارس تأثيرا على الشعر العربي .

وقد ادى الاحتلال العربي لفارس ، الى ان باتت اللغة العربية لغة الادب ، فظهر على المسرح العربي شعراء من اصل فارسي ينظمون القصائد بالفارسية والعربية معا .

وعندما بدات اكمام النهضة الادبية تتفتح ، ظهر في فارس شعراء نهجوا في شعرهم منهجا يتباين مع المنهج التقليدي في الشعر العربي ، منهج الموضوع البيت

زكي مبارك

محمد عامر البحيري

« لقي وجه ربه الكريم في يناير ١٩٥٢ .. بين صخب الاحداث ، فلم ينل حقه من التقدير والتكريم .. نال الدكتوراه ثلاث مرات ، وجاهد بقلمه ، ولقي عنت الحياة ... وله ذكريات خاصة في باريس وبغداد... كتب عن الشاعر عامر محمد بحيري صاحب ديوان « اليخت الذهبي » .. عندصدور ديوانه عام ١٩٣٦ .. فقال « انه شخصية رزينة تعد بالخير الجزيل ، واذاصحت فراستي فسيكون هذا الفتى من اعلام البيان .. » وفي هذه القصيدة يحاول الشاعر ان يرثيه .. وفاء بحق الاستاذ والصديق والانسان ... بمناسبة مرور العام الحادي والعشرين .. على وفاته ...

★

غالك الموت .. يا زكي مبارك ... اترى الموت قد طوى آثارك
كيف يخفى السحاب طلعة شمس ... ارسلت في بهائها انوارك
ان ليل الردى .. وان ملأ الكو ... ن ظلاما .. فما يضير نهارك
فلك ملؤه النجوم الدراري ... لا اراها تدور فيه مدارك
كنت ذاك الدءوب قولا وفعلا ... لجليل من الامور اثارك
خضتها ثورة الدفاع عن الحق.. فصممت .. فاتخذت قرارك
كنت في ساحة المعارك ليثا ... ضاري الفتك ، قد رفعت شعارك
حلبة القول كنت فيها المجلى ... حيث لا يلحق المصلى .. غبارك
قلم دونه الحسام .. اذا صا ... ل .. وصوت مجلجل ان تعارك
ودواوين بين شعر ، ونثر ... جمعت في سطورها اخبارك
حاليات ، يصوغها جوهري ... اي روض جنيت منه ثمارك

رب عهد موفق .. كنت فيه ... تتغنى .. مرددا اشعارك
عهد باريز .. من جمال وحسن ... حيث يممت شطرها اسفارك
وفتون بكل ذات فتون ... جل ربي مصورا ، وتبارك

الواحد ، وتعدد مواضيع القصيدة الواحدة وهذا المنهج هو القصة الشعرية ، كما هو الحال لدى (ابن المؤيد البلخي والرودكي والفردوسي) ، وبالرغم من تلاحم الشعبين الفارسي والعربي ، فان المنهج القصصي في الشعر الفارسي ، لم يستطع ان يمارس تأثيرا على الشعر العربي ، اذ ظل هذا الشعر معتصما في محرابه التقليدي، متطورا في شكله ولونه .

لقد عرف العرب الشعر الفارسي ، كما عرفوا جوانب من الشعر الاغريقي ، ولكن هذه المعرفة لم تفض الى تطورات رحبة وعميقة في الشعر العربي ، اما الصور الجديدة التي طالعنا بها شعراء ينتمون باصلهم الى اصل غير عربي ، فان مردودها لا يرجع الى العامل الوراثي بل الى الوسط الذي اوحى بها فعكست هذا الوسط وعبرت عنه .

دمشق — نسيب الاختيار

ذاك عهد ذكرته بعد ان ولى .. وقد غلف الزمان اوكارك
قلت لي : ان طغى شعورك في الوقت .. فسجله .. لا تطع اعذارك
يحمل الشاعر اليراع .. فسجل كلما مر خاطر .. فاستثارك
أين باريز .. بعد ان ذهب العمر .. ومنذا لعهدها يتدارك

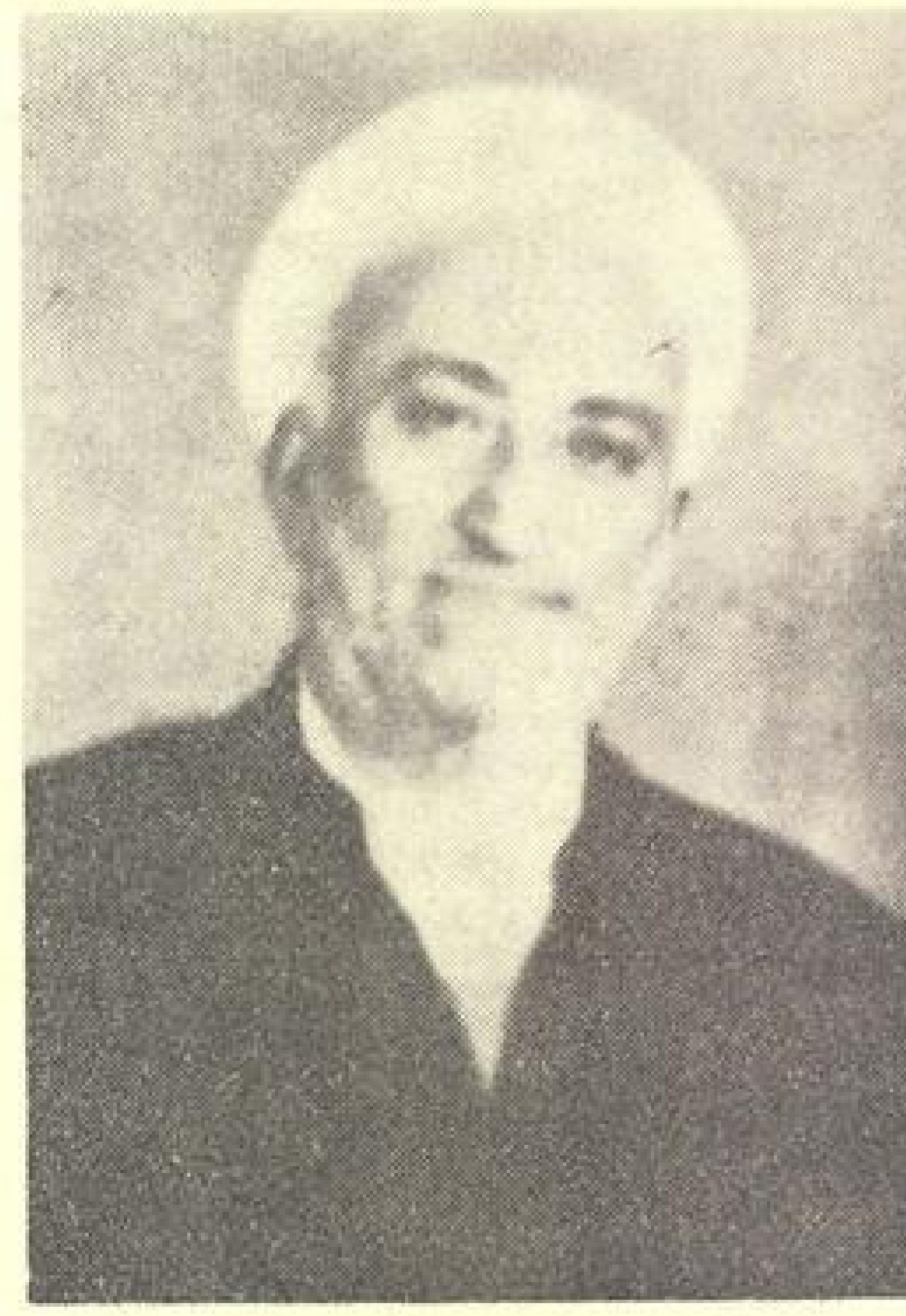
اي فضل طوقتني .. في شباب الشعر .. لما منحته ايثارك
اصبح « اليخت » سابحا في بحار النور .. من لي بان اخوض بحارك
واشق الامواج في عاصف النو ء .. مصرا لخوضها اصرارك
انت بوأته مكانا عليا علما في سمائه لا يشارك
ولقد صحت الفراسة .. لما ابصر اليخت في الخضم منارك

يا زكيا ، مباركا .. ذهب العمر .. ولا من يؤجج اليوم نارك
اين « لحن الخلود » .. من روضة الشعر .. لمن جاء قاطفا أزهارك
ايـن فيما كتبته .. « نثرك الفني » .. هل خاض حاسدوه غمارك
اين « روح الاخلاق » عن الغزالي حين يحصى معدد .. اسفارك
اين « مدح النبي » .. تذكر كعبا والبوصيري .. مطلقا افكارك
اهملت قدرك العظيم اناس لم ينالوا من البيان اقتدارك
وطغت عجمة الغريب .. ولو عشت .. لجردت في الوغى بتارك
فارسا مطبقا على كل عاد بالفا حيثما اردت انتصارك

يا غريم الحياة .. عنفا ، وقسرا شدت دار النهى ،وما شدت دارك
لم تزل ترفع الجدار قويا للمعاني ، والظلم يوهي جدارك
ايه يا فكر .. كم طغى جابر الظلم .. وكم اورد الاذى احرارك
ايه يا دهر .. كم بخست اولي الفضل .. وسودت دونهم اغمارك
يحمل المؤمنون عبئك ابطا لا ، فتلقى عليهم اوزارك
ايهذا الاديب .. ضيعك الدهر .. فمنذا يرد فيه اعتبارك
كنت في سالف الزمان اميرا كيف لم يحفظ الزمان وقارك
لمحة من هداك ينتفع النا س بها ، لا يرون الا ضرارك
ايها الكوكب المضيء .. تمنى حاسدوهم .. ان يمنعوا اظهارك
لك ثار على الحياة .. ولكن حين تمضي .. فمن سيأخذ ثأرك
زرت بغداد ، بعد تركك باريز .. وقد شرف الزمان مزارك
صولة الحق بين شرق وغرب في مجال احسنت فيه اختيارك
حيثما قد نزلت .. تختبر الدهر مليا .. والدهر يجري اختبارك
ان بغداد .. سر من قد رآها .. لم تكن اذ نزلت الا ديارك
دولة العلم ، والنهى ، والاغاني كم اغار الاباة فيها مغارك
كثر العلية العباقر فيها وهي بالصبر .. لا تمل انتظارك

يا الهي .. مضى اليك زكي فامنح المؤمنين بعد اصطبارك
واعني على قضاء حقوق كان فيها مسابقا ابرارك
هبه يا واهب المجدين .. جنا تك .. تجري من تحتها انهارك
رب ، واغفر له . وانزله دار الخلد .. وامنحه في السماء .. جوارك

مصر الجديدة عامر محمد بحيري



الشيخ محمد رضا الشبيبي

محمد رضا الشبيبي واللهجات العربية

بقلم قصي سالم علوان

عني المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي بدراسة اللهجات العربية وغايته من ذلك هو الحفاظ على اللغة العربية والوصول الى « لغة موحدة سليمة » . فهو يرى « ان هذه اللهجات تحفل بمادة صالحة من المفردات والمركبات والفصح الشاردة ، على ما فيها من فساد والتواء واعوجاج . فعلينا ان نعني باصلاح ذلك ، وبذل الجهد في التوفيق بين الفصحى ولهجاتها من هذه الناحية ، لنخلص الى لغة موحدة سليمة » (١) .

وكان يسعى الى تعميم الفصحى عن طريق نشرها واغنائها ، فهو حريص على هذه اللهجة ، ناع أشد النعي على دعاة العامية واستعمالها بدل الفصحى للتخلص من الازدواج اللغوي . وهو يرى ان « الابقاء على الفصحى.. ابقاء على الحياة ، واستجابة لمقتضيات الطبيعة ، والتفريط بها تفريط بالكيان القومي والمشخصات العربية والثقافة الاسلامية والمعاني الانسانية » (٢) فاللهجة العامية ليست واحدة ، فلكل قطر من الاقطار العربية لهجته ، بل لكل جزء من اجزاء هذه الاقطار لهجته . وفي الدعوة الى العامية دعوة الى تفكيك اجزاء الوطن العربي الكبير ، في الوقت الذي تدعو الحاجة أشد الدعوة الى الوحدة (٣) أضف الى ذلك ان اللهجة العامية لهجة عاجزة ، فأنت لا تستطيع ان تنشىء قطعة ادبية او مقالة علمية بلهجة من اللهجات العامية (٤) .

الى هذه الاسباب وغيرها تراه يدفع الدعوة الى العامية ، ويرى في دعوة الذين يرون ان الغلبة ستكون للعامية ، وان اللهجات ستتحول في يوم من الايام الى لغات مستقلة قائمة بذاتها ، وان مصير الفصحى سيكون مصير اللاتينية او السامية البائدة ، اسرافا في التكهن والرجم بالغيب . فقد تكفلت بحفظ الفصحى وحياتها وخلودها معجزة كتاب العرب الخالد ، القرآن الكريم ، اذ لولا اعجازه لجاز ان يحدث لهذه اللغة ما حدث للغتين اللاتينية والسامية (٥) .

وهو يرى ان الصعوبة في الفصحى متأتية من ناحية الاعراب . وهو يرى انه « قد زال هذا الاعراب لانه لم يعد عمليا في عصرنا الحاضر على الاقل ، فلنحافظ على سلامة لغتنا الفصحى وتوحيد لهجاتها وتقويم النطق بها، ولو بالتخلي عن الاعراب الى حين ، الا في التلاوة وما اليها ، على ان ينظر الى مشكلة الاعراب ، وان يعهد بذلك الى المتخصصين المنقطعين لهذه الدراسات . ولا يخفى ان الكتاب المجيد تكفل بحفظ الاعراب » (٦) .

وهو في بحث له عنوانه : « اللهجات القومية وتوحيدها في البلاد العربية » (٧) يدعو الى ما اسماه « توحيد اللهجات وتغليب لغة فصحى سليمة عليها » ويذهب الى ان السبيل الى ذلك جملة من الوسائل الفعالة التي توصلنا الى هذه الغاية . وهي :

أولا : نشر التعليم المنهجي ومكافحة الامية والاكثار من المتعلمين المدركين مكانة اللغة من الدولة والمجتمع والقومية .

ثانيا : توحيد التلفظ واصلاح النطق ، على ان تقوم بذلك مراجع فنية مختصة .

ثالثا : ان يصاحب نشر التعليم والعناية به الاهتمام بعلوم الدين ليواكب الاهتمام بعلوم الدنيا .

ونحن حين نقرأ ذلك نكبر في الشيخ الشبيبي النية الطيبة والرغبة المخلصة في جمع شمل الامة العربية عن طريق لغتها ، ولكننا نتساءل : كيف يتم توحيد اللهجات في البلاد العربية ؟ وكيف تستطيع المراجع الفنية توحيد التلفظ واصلاح النطق ، واللغة المحكية ، كما لا يخفى عليه ، لا تفرض على الناس فرضا ، بل هو نفسه قد القى بحثا في احدى جلسات مجمع اللغة العربية اطلق عليه عنوان : « بلبلة اللهجات » (٨) تحدث فيه عما يحدثه تعدد اللهجات من بلبلة واضطراب ، وعما في محاولة توحيدها من صعوبة .

على أية حال . من ذلك نرى ان الشبيبي محب للغة العرب ، حريص عليها ، متأذ مما يراه قد حل بها من اشكال ، راغب في الوصول الى لهجة تجمع أمة العرب ، نابعة من واقعهم غير متنكرة لماضيهم ، تزيل ما هم فيه من ازدواج لغوي . وهو في سبيل ذلك تعرض الى مشكلة اللهجات ، بل درس بعض هذه اللهجات في الاقطار العربية .

فقد أصدر كتابا عن « أصول الفاظ اللهجة العراقية » (٩) كتب له مقدمة في أصول الفاظ اللجهة العراقية وفي بعض مواد هذه اللهجة ، وبين رأيه في الغرض من دراسة اللهجات ، والدافع الذي دفعه الى

الانصراف الى هذا البحث ، ثم خلص الى وضع معجم دعاه « معجم الالفاظ العراقية » رد فيه بعض الالفاظ العراقية الى أصولها .

وهو يذهب في كتابه هذا الى ان اللهجة العراقية التي يتخاطب بها العراقيون الآن ، وهي احدى لهجات عدة اشتقت من الفصحى واختلفت باختلاف البلدان ، هي لهجة قديمة مضت على العراقيين اجيال وهم يتحدثون بها ، او بلهجة شبيهة بها جدا (١٠) فبعد ان استولى المغول على العراق في اوائل النصف الثاني من القرن السابع الهجري « تغيرت العادات والرسوم والآداب واللغات . وكان نصيب لغة العراقيين من التغير والتأثر نصيبا موفورا . فقد تسرب اليها الكثير من المفردات والمركبات والاساليب الانشائية الفارسية والتركية والمغولية بالاضافة الى ما كان قد تسرب اليها من قبل ذلك من اللغات الهندية والآرامية والسريانية وغيرها من اللغات » (١١) .

وهو يذكر أن بحثه في تاريخ العراق في عصر المغول (١٢) هو الذي استدرجه الى النظر في أصول اللهجة العراقية الشائعة الآن ، وفي صلتها باللهجة العراقية الشائعة في كتب مؤرخي عصر المغول ، ودعاه الى الاعتقاد بأن اللهجة الحاضرة لا تختلف كثيرا عن اللهجة الشائعة آنذاك (١٣) .

هذا وقد اعتمد في كتابه على جملة من المراجع التاريخية والادبية ، كان مرجعه الاول بينها ، كما ذكر ، هو كتاب « الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة » (١٤) المنسوب الى ابن الفوطي .

هذا وقد صنف معجم الالفاظ العراقية ، وهو ما اشتمل عليه جل الكتاب ، في ست وثمانين مادة مرقمة من ١ الى ٨٦ (١٥) .

وقد القى في مجمع اللغة العربية في القاهرة بحثا بعنوان : « في تاريخ اللهجة المصرية » (١٦) تحدث فيه عن استعمال الالفاظ العامية المصرية ، وعن لهجة أهل أسوان وتعليل وجودها ، وعن الامالة والترخيم في اللهجة المصرية .

كما القى في المجمع المذكور بحثا آخر بعنوان : « لهجات الجنوب » (١٧) بعد ان اطلع على بعض المعلومات في نشرة أصدرها أحد مكاتب احدى الشركات العاملة في الجزيرة العربية ، وهي تذكر أنه قد توصل الى وجود أربع لغات سامية مستقلة عن العربية ، يتخاطب بها فيما بين حضرموت والربع الخالي ، وهي : المهرية والبطحرية والشحرية والخرسوسية . وانه قد توصل بوساطة هذا الكشف الى معرفة بعض الاعلام البلدانية غير العربية في جنوب الجزيرة .

وقد رد الشبيبي في بحثه هذا تلك المعلومات . وذهب الى القول بأن « المهرية » هي « الامهرية » ، لغة الحبشة التي ربما تسربت بعض الفاظها في تلك الجهات . وان « الشحرية » هي لهجة عربية ، وهي المعروفة ب « السواحلية » ، نسبة الى ساحل اليمن . أما اللهجة الحضرمية فهي لهجة عربية من أقرب اللهجات الى الفصحى في الوقت الحاضر . وقد نفى وجود اعلام غير عربية في تلك المنطقة ، ورجح ان تكون تلك الاعلام مرتجلة ، او محرفة غاية التحريف ، الامر الذي اوهم انها غير عربية .

وقد تحدث عن اللهجة المغربية في كتابه « رحلة الى المغرب الاقصى » (١٨) اذ لاحظ انها خليط من الفاظ عربية وبربرية وفرنسية (١٩) كما لاحظ بعض خصائص هذه اللهجة من مثل قلبها الياء الفا او همزة في بعض الالفاظ والافعال ، او قلبها الجيم ياءا في عدد من الالفاظ ، ومثل وجود ظاهرة اختزال الاعلام . وذكر ان مثل هذا القلب شائع في بعض اجزاء العراق (٢٠) وقد أشار الى ان لهجة ابناء فاس هي اكثر اللهجات المغربية قربا الى الفصحى شأنها شأن غيرها من المدن العربية المعنية بالدراسات الاسلامية والعربية (٢١) .

البصرة ــ العراق **قصي سالم علوان**

---

(١) ــ أصول الفاظ اللهجة العراقية : ص ٩ ، (٢) ــ « سنة التطور في اللغة » : مجلة مجمع اللغة العربية ج ١١ (١٩٥٩) ص٥٩ ، (٣) ــ « بين الفصحى ولهجاتها » بحث له : مجلة مجمع اللغة العربية ج٩ (١٩٥٧) ص ٧٢ ، (٤) ــ « سنة التطور في اللغة » : المرجع السابق ص ٦٠ ، (٥) ــ « بين الفصحى ولهجاتها » : المرجع السابق ص ٧١ ، (٦) ــ المرجع السابق : ص ٧٣ ، (٧) ــ مجلة مجمع اللغة العربية ج١٤ (١٩٦٢) ص ٨٥ ، (٨) ــ مجلة مجمع اللغة العربية ج ١٢ (١٩٦٠) ص ٨٨ ، (٩) ــ طبع بمطبعة المجمع العلمي العراقي في بغداد سنة ١٩٥٦ ، (١٠) ــ أصول الفاظ اللهجة العراقية : ص ٩ ، (١١) ــ المرجع السابق : ص ١٠ ، (١٢) ــ للشبيبي دراسة بعنوان : « مؤرخ العراق ابن الفوطي ، بحث في ادوار التاريخ العراقي من مستهل العصر العباسي الى اواخر العصر المغولي » في جزئين . طبع الاول بمطبعة التفيض في بغداد سنة ١٩٥٠ ، وطبع الثاني بمطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٨ ، (١٣) ــ المرجع السابق : ص١١ ، (١٤) ــ عنيت بطبعه المكتبة العربية في بغداد (مطبعة الفرات) سنة ١٩٣٢ ، بمقدمتين احداهما للمرحوم الشبيبي والاخرى للمرحوم الدكتور مصطفى جواد ، (١٥) ــ وهذا أنموذج لمادة من مواد المعجم المذكور ، هي المادة الاولى :

« ١ ــ الادارة والمدير : ادار الشيء اماله ، وفاعله المدير . هذا هو معنى الكلمة في لغة العرب ، ومنذ عصر المغول تحول مدلول هذه الكلمة فاطلقت على تصريف الاعمال وتدبيرها . واطلقت كلمة المدير على المتصرف ، وشاع استعمالها بهذا المعنى في عصور الاتراك والعصور الحديثة . قال ابن الفوطي في ترجمة احد الملقبين فخر الدين : « كان عارفا بامور القضاء والعدالة ورسوم الادارة والوكالة » . ثم جاءت كلمة ادارة (مديرية) و (مجلس ادارة) و (مدير) . وفي نسخة (نشوار المحاضرة) للتنوخي : « كان فلان يدير الولاية » . ويغلب على ظننا ان كلمة « يدير » في هذه النسخة محرفة عن « يدبر » من التدبير » .

(١٦) ــ مجلة مجمع اللغة العربية : ج١٢ (١٩٦٠) ص ١٢٩ ، (١٧) ــ نشره مجمع اللغة العربية في كراس (١٩٦٠ ــ ١٩٦١) ، (١٨) ــ طبع بمطبعة المجمع العلمي العراقي في بغداد سنة ١٩٦٥ ، (١٩) ــ رحلة الى المغرب الاقصى : ص ٢٧ ، (٢٠) ــ المرجع السابق: ص ٢٨ ، (٢١) ــ المرجع نفسه : ص ٢٥ .

خطر الانسان

بقلم برتراند راسل

ترجمة جرجس عبده

* * *

منذ ثلاثة اعوام وفي ٢ فبراير ١٩٧٠ فقد العالم مفكرا انسانيا عظيما هو « برتراند راسل » رصد حياته من اجل الفكر الانساني وكانت سنواته الاخيرة كفاحا متصلا من اجل السلام والخير والدفاع عن الانسان في كل مكان بلا تردد ولا خوف حتى لقد دخل السجن وهو على ابواب التسعين من عمره .. ولكنه مع ذلك لم يتردد في اعلان آرائه ، وعقد محكمته المعروفة ضد الرئيس الامريكي السابق جونسون ، والوقوف ضد اسرائيل وضد العدوان في كل مكان ، والخروج في المظاهرات المختلفة التي تنادي بالعدل والحرية والسلام .. وفي هذا المقال (١) يحدثنا راسل عن خطر الدمار الذي يحيق بالبشرية اذا ما استرسل دعاة الحرب في جر النوع الانساني الى حرب شاملة تبيده عن آخره .

★

اني اتحدث هنا لا كرجل من بريطانيا ولا كرجل اوروبي ولا كعضو مدافع عن الديموقراطية الغربية ، ولكني اتحدث ككائن بشري ، كعضو في النوع الانساني ، الذي يشك في استمرار بقائه . فالعالم مليء بالصراعات ، بين اليهود والعرب ، وبين الهنود والباكستانيين ، بين البيض والسود في افريقيا ، ويزيد على هذه الصراعات الصغيرة الصراع الهائل بين الشيوعية والمعادين للشيوعية .

وكل انسان له وعي سياسي له في الغالب مشاعر قوية نحو واحد او اكثر من هذه المسائل ، ولكني اريدك ان تتخلى للحظة عن هذه المشاعر ان استطعت ولا تعتبر نفسك الا كعضو من نوع بيولوجي كان له تاريخ عظيم ولا يمكن ان يتمنى اي واحد منا ان يختفي هذا النوع . ولن احاول ان اقول كلمة واحدة تروق طائفة واحدة دون الاخرى . فالكل متساوون في مواجهة الخطر ، واذا فهم الخطر فثمة أمل في ان يتحاشاه الجميع . ويجب ان نتعلم التفكير بطريقة جديدة ، ويجب ان نتعلم ان نسأل انفسنا لا ما هي الخطوات التي يمكن اتخاذها لتحقيق النصر لاي طائفة نفضلها ، لانه لم يعد هناك وجود لهذه الخطوات . والسؤال الذي يجب ان نسأله لانفسنا هو هذا : ما هي الخطوات التي يمكن اتخاذها لمنع منافسة عسكرية لا بد ان تكون نتيجتها مصيبة تحط اوزارها على الجميع ؟

ولم يدرك جمهور الناس ولا حتى الكثيرون ممن يشغلون مراكز السلطة ما الذي ينتج عن حرب تستعمل فيها القنابل الهيدروجينية . ومــا زال عموم الناس يتذكرون حوادث تلاشي المدن . ومن المعلوم ان القنابل الجديدة اقوى من القنابل القديمة ، وبينما استطاعت قنبلة ذرية القضاء على هيروشيما ، فان قنبلة هيدروجينية واحدة تستطيع ان تبيد أضخم المدن كلندن ونيويورك وموسكو . ولا شك ان في حرب هيدروجينية ستتلاشى المدن الكبرى . ولكن هذا احد المصائب الصغرى التي علينا ان نواجهها . فاذا تلاشى كل سكان لندن ونيويورك وموسكو ، فربما استطاع العالم بمضي قرون قليلة الشفاء من الصدمة . ولكننا الآن نعلم وخاصة بعد التجربة التي اجريت في بكين ان القنابل الهيدروجينية يمكنها ان تنشر الدمار التدريجي على نطاق اوسع مما نظن . وقد صرح مصدر ثقة انه يمكن الآن صنع قنبلة تبلغ قوتها ٢٥٠٠٠ ضعف القنبلة التي دمرت هيروشيما . وهذه القنبلة اذا فجرت قرب الارض او تحت سطح الماء تبعث ذرات اشعاعية نشيطة الى طبقات الجو العليا . وهذه الاشعاعات تهبط تدريجيا الى سطح الارض على صورة غبار او مطر مبيد . وكان هذا الغبار هو الذي اصاب الصيادين اليابانيين وصيدهم من السمك مع انهم كانوا خارج المنطقة التي اعتقد الخبراء الامريكيون انها منطقة الخطر . ولا يدري احد مدى انتشار هذه الذرات الاشعاعية المميتة ، ولكن خير الثقاة متفقون بالاجماع على ان قيام حرب تستعمل فيها القنابل الهيدروجينية خليق ان يقضي قضاء نهائيا على الجنس البشري . ويخشى انه اذا استعملت قنابل هيدروجينية كثيرة ان يحدث موت شامل – مفاجيء بالنسبة الى الاقلية المحظوظة ، ولكنه بالنسبة الى الاغلبية عذاب بطيء يبتليهم بالمرض والانحلال .

وسأذكر قليلا من شواهد كثيرة . فقد صرح السيرجون سليسور الذي يتكلم عن ثقة لا تضارع لخبراته في الحرب الجوية ، فقال « ان قيام حرب عالمية الآن وفي هذا العصر ستكون انتحارا عاما » ثم استطرد مبينا « وهي لن تترك مجالا لفكر يحاول القضاء على سلاح معين من اسلحة الحرب . فان ما ينبغي القضاء عليه هي الحرب ذاتها » وقد اكد اخيرا نفس هذه النقطة اللورد ادريان ، الحجة الانجليزي الرئيسي في فسيولوجية الاعصاب حيث قال في خطابه عند توليه رئاسة الجمعية البريطانية : « يجب ان نواجه الاحتمال

---

١ – من كتاب « صور من الذاكرة » لفيلسوف العصر برتراند راسل .

بأن التفجيرات الذرية المتكررة ستؤدي الى حالة عامة من النشاط الاشعاعي لا يستطيع احد احتمالها او الفرار منها » ثم يضيف « وما لم نكن مستعدين للتخلي عن اعتقاداتنا القديمة ، فقد نندفع الى حرب قد تقضي على الجنس البشري » . ويقول السير فيليب جوبيرت القائد الاعلى للقوات الجوية : « باختراع القنبلة الهيدروجينية سيظهر ان الجنس البشري قد وصل الى نقطة لا بد له عندها اما ان يكف عن الحرب كسياسة مستمرة واما ان يتقبل احتمال الدمار الكامل » ويمكنني ان ابسط هذه الاقوال دون قيد .

وكم من تحذيرات وجهها علماء بارزون ووجهها ثقاة في الاستراتيجية الحربية . ولم يقل احد منهم ان اسوأ النتائج محققة . وما قالوه هو ان هذه النتائج محتملة الوقوع ولم يقطع أحد بانها لن تحدث . ولم اجد ان هذه الآراء التي ادلى بها الخبراء عن هذه المسألة تعتمد الى اي حد على سياساتهم او تحيزاتهم . فهي تعتمد فقط على مدى معرفة الخبير الخاصة ، على قدر ما كشفته ابحاثي . ولقد وجدت ان من يعرفون اكثر هم اكثر الناس حزنا .

مشكلة صعبة لا مفر منها

وهذه اذن هي المشكلة التي اعرضها عليكم ، وهي مشكلة صعبة مفزعة لا نجاة منها . فهل ستضع حدا للجنس البشري ، ام سيقلع البشر عن الحرب ؟ والناس لا يواجهون هذا الاختيار لان القضاء على الحرب صعب جدا . والقضاء على الحرب سيستلزم تقييدات كريهة للسيادة القومية . ولكن لعل الذي يعوق تفهم الموقف اكثر من اي شيء آخر هو ان كلمة (الجنس البشري) تشعر بالغموض والتجريد . ومن الصعب ان يدرك الناس بالخيال ان الخطر واقع عليهم وعلى ابنائهم واحفادهم لا فقط على بشرية مبهمة التصور . ولذلك يأملون ان الحرب ربما امكن السماح باستمرارها بشرط منع استعمال الاسلحة الحديثة . ويؤسفني ان هذا الامل وهمي . فمهما تمت الاتفاقات على عدم استعمال القنابل الهيدروجينية في وقت السلم ، فلن تظل كاتفاقات ملزمة في وقت الحرب ، وسيهب كلا الطرفين لصنع القنابل الذرية حالما تنشب الحرب ، وذلك لانه اذا صنع احد الطرفين هذه القنابل ولم يصنعها الطرف الآخر فان الطرف الذي صنعها سيكون حتما هو الطرف المنتصر .

وعلى كلا جانبي الشبكة الحديدية توجد عوائق تؤكد صنعة الدمار في الحرب المستقبلة . ولو ان احد الجانبين اعلن انه لا بد من اللجوء الى الحرب مهما يكن ، فسيكون من الناحية الدبلوماسية تحت رحمة الطرف الآخر . فكل جانب لكي يحمي نفسه لا بد ان يستمر في القول بأ نهناك تحرشات لا يحتملها . وقد يميل كل جانب الى التوفيق والتسوية ، ولكن لن يجرؤ احدهما على الافصاح عن هذا الميل بثقة . ويشبه الموقف موقف المبارزين في العهود السالفة . ولا شك انه كثيرا ما حدث ان كلا من الطرفين قد خاف الموت وتمنى التسوية ، ولكن لم يستطع كل منهما التصريح بهذا ، اذ انه لو فعل لاعتبر جبانا . والامل الوحيد في هذه الحالات كان هو تدخل اصدقاء كلا الجانبين لاقتراح تسوية يوافق عليها الاثنان في وقت واحد . وهذا تشبيه مضبوط للموقف الحالي للمتنافسين على جانبي الشبكة الحديدية . فان امكن الوصول الى اتفاق تجعل الحرب مستحيلة ، فسيكون هذا عن طريق المراكز المحايدة الصديقة ، التي يمكنها ان تتكلم عن كوارث الحرب دون ان تتهم بالدفاع عن سياسة التهدئة . فللمحايدين كل الحق ، حتى ولو من أضيق اعتبار للفائدة الشخصية ، في بذل كل ما في وسعهم لمنع نشوب حرب عالمية ، لانه اذا نشبت هذه الحرب فمن المحتمل جدا ان كل سكان الدول المحايدة سيتلاشون مع بقية الجنس البشري . ولو كنت رئيسا لحكومة محايدة لرايت من واجبي الاسمى ان اضمن لبلدي ان تستمر عامرة بسكانها ، والطريقة الوحيدة لجعل هذا ممكنا هو الاهتداء الى نوع التوفيق او التسوية بين القوى المتعادية على جانبي الشبكة الحديدية .

وانا شخصيا لست طبعا محايدا في مشاعري ولن ارغب في رؤية خطر الحرب يجتنب في خضوع حقير من جهة الغرب . ولكني ككائن بشري يجب ان اتذكر انه ان امكن ان المسائل التي بين الشرق والغرب يمكن ان تحسم على اية حالة تكون مرضية لكل واحد ، سواء كان شيوعيا او معارضا للشيوعية ، وسواء كان اسيويا او اوروبيا او امريكيا ، وسواء كان ابيض او اسود ، فان هذه المسائل لا يجب حسمها بالحرب . وبودي لو امكن فهم هذا من كلا جانبي الشبكة الحديدية . ولن يكفي ابدا فهمه من جانب واحد فقط . واعتقد ان المحايدين، لعدم وقوعهم في وهدتنا المؤسية ، يمكنهم اذا شاءوا اجراء تحقيق هذا على كلا الجانبين . وبودي ان ارى دولة او اكثر من القوى المحايدة تنتخب هيئة من الخبراء ، يجب ان يكونوا جيمعا محايدين ، لوضع تقرير عن النتائج المدمرة المنتظرة من حرب تستعمل فيها القنابل الهيدروجينية لا بين المتعادين فقط ولكن بين المحايدين ايضا . واود ان يرفع هذا التقرير الى جميع القوى العظمى مع دعوتها للافصاح عن موافقتها او رفضها لنتائجه . واظن انه من الممكن بهذه الطريقة توجيه القوى العظمى الى الموافقة على ان قيام حرب عالمية لم يعد يفيد اهداف اي قوة منها اذ انها بالارجح ستقضي على الصديق والعدو على السواء وعلى المحايدين بالمثل .

هجرة الراعي

الدكتور محمد عبده غانم

***

يرعى القطيع بأسفل الوادي ... وهو الملح الرائح الغادي
ويقوده بين الشعاب وقد ... جثم الهجير على الثرى الصادي
فوق الحصى الشهباء كالحة ... كالجمر اخمد بعد ايقاد
وعلى الرمال الصهب قد سكبت ... فيها الشموس حريقها الجادي(١)
وشياهه تمشي على مهل ... وتجوس في ترب واصلاد
تهفو الى الاعشاب ناعمة ... في سعيها للري والزاد
حتى اذا ما استيأست قنعت ... باليبس عن غض ومياد
ويظل راعيها بلا سأم ... يرعى القطيع بكفه الهادي
ويرد من ضل السبيل الى ... وضح السبيل بصوته الشادي
يا تلكم الخلوات يملؤها ... مرح القطيع ورنة الحادي

وتمر ايام مرجبة (٢) ... فاذا المعيد لها هو البادي
راعي الشياه ، يتيم قريته ... من دونها يدعى لميعاد
راعي الشياه ، وليس من زعموا ... من قادة صيد واسياد

واذا تذكرنا الزمن الجيولوجي ، رأينا ان وجود الانسان لم يشغل سوى فترة قصيرة جدا ـ مليون سنة على اكثر تقدير . وما حققه خصوصا في الستة الاف سنة الاخيرة هو شيء جديد تماما في تاريخ الكون ، الى الحد الذي نعرفه على الاقل . فلعصور لا تحصى ظلت الشمس تشرق وتغرب والقمر يزدهر ويضمحل والنجوم تلمع في الليل ، ولكن هذه الاشياء لم تدرك الا بمجيء الانسان . وفي العالم الفلكي العظيم وفي عالم الذرة الصغير اماط الانسان اللثام عن اسرار كان يظن انها لا يمكن الكشف عنها . وفي الفن والادب والدين اظهر الانسان سموا شعوريا يجعل النوع الانساني خليقا بالبقاء . فهل ينتهي هذا كله في فزع تافه لان قلة صغيرة قادرة على ان تفكر في الانسان اكثر مما فكرت فيه هذه الجماعة من الناس او تلك ؟ فهل جنسنا بهذا الافتقار الى الحكمة وبهذا العجز عن المحبة النزيهة وبهذا العمى عن رؤية حتى أبسط مطالب حفظه لذاته بحيث يكون آخر برهان لنشاطه السخيف هو القضاء على الحياة باجمعها فوق كوكبنا ؟ أوليس الانسان وحده هو الذي سيفنى ولكن ستفنى الحيوانات ايضا ، والتي لا يستطيع أن يتهمها احد بالشيوعية او المعاداة للشيوعية .

ولست اعتقد ان هذه ستكون الخاتمة . واريد ان ينسى الناس مشاحناتهم لحظة واحدة ويفكروا انهم اذا سمحوا لانفسهم بالبقاء ، فهناك ادلة قاطعة لتوقع ان انتصارات المستقبل ستزيد عن انتصارات الماضي زيادة لا حد لها . وامامنا اذا شئنا زيادة مستمرة من السعادة والمعرفة والحكمة . فهل سنستبدل ذلك باختيار الموت لاننا لا نستطيع نسيان مشاحناتنا ؟ واهيب بكم ككائن بشري يتحدث الى كائنات بشرية : ان تتذكروا بشريتكم وتنسوا ما عدا ذلك . فاذا وسعكم ان تفعلوا هذا ، فأمامكم الطريق مفتوحا الى فردوس جديد ، واذا لم تستطيعوا هذا فليس امامكم الا الموت الشامل .

القاهرة — **جرجس عبده**

كمغيرة (٣) النادي وعتبته (٣) والجهل (٣) اكبر سادة النادي
ايقود من سادوا ومن حكموا من كان يرعى الضان في الوادي
فيسفه الاحلام عن كثب ويعيث في ماض وامجاد
سيعذب الاتباع ان جنحوا فالسوط للجاني بمرصاد
ويرن للسوط اللئيم صدى حول الحطيم مزمجر عادي
وتمر ايام مضمخة بدم الشهيد وطيبه الفادي
والمؤمنون تزيد محنتهم بالظالمين عتي اوتاد
حتى اذا ما استيأسوا نزحوا عن دار اغلال واصفاد

ورأت قريش سيل هجرتهم يرغى ويزبد اي ازباد
فتقصدوا (٥) الراعي فلم يجدوا لمسيره أثرا لقصاد
قد غادر الوادي وليس به زرع الى مرعى ومرتاد
حيث النخيل وحيث واحته تهتز من شدو وانشاد
والدف الحان يقسمها نقر الى مثنى وآحاد
والغيد تنشد قد اجد لنا بدر الثنايا فيض ارشاد (٦)
يسرى السنى فتخاله ابدا لا ينتهي مسرى لآباد
و الاوس (٧) تهتف بين خزرجها (٧) وتقول للراعي وللهادي
يا حبذا راع ينير لنا آماد غيب اثر آماد
آماد غيب طالما حجبت عنا باضغان واحقاد
آماد ايمان نفوز به من بعد اشراك والحاد

يا هجرة الراعي وما شرعت للمجد من شأو وابعاد
دفقت بأشباح مجلجلة تدوي وترعد اي ارعاد
جرفت ابا جهل وشيعته من كل جبار وجلاد
ومضت فما والله يمسكها غور ولا تهفو لانجاد
حتى هوى كسرى وسدته وهرقل منآدا لمنآد
ورأى المحيط جحافلا عربا من حاضر جاءت ومن بادي
وسرى الاذان على منائره في جلق يدوي وبغداد
وزهت ببدور العلم قرطبة وبما بها من فوج وراد

يا هجرة الراعي وروعتها للمجد كانت فجر ميلاد
واليوم لا مجد تتيه به بين البرية امة الضاد
الا سويعات تهيم بها من ذكر احفاد لاجداد

---

(١) بلون الزعفران (٢) معظمة (٣) سادات قريش (٤) من معالم مكة الشهيرة (٥) بمعنى تتبعوا اثره (٦) اشارة الى ما استقبل به نسوة المدينة الرسول عليه الصلاة والسلام من نشيد مطلعه : طلع البدر علينا من ثنيات الوداع . (٧) قبيلتا الانصار .

لندن — محمد عبده غانم

يسحقني الصمت فأتكوم في الركن .. افرد ساقي وعيناي معلقتان على الباب واذناي تتسمعان وقع خطاك ، علك تأتي فأتحدث اليك .. انت الاخر لا تفهمني ، لكنك يوما ستسمع لي ، دونما تباغتني صرختك : اسكت ، فينحشر الكلام في حلقي ، وتتحول انتفاضة خلجاتي الى رعشة ، تذيب دموعي الحائرة في محاجري ، وتحرك سكون آبار بداخلي تضخ العذاب ..

تقول لا قلب لي ، اذ لم اهتم بغير انقاذ نفسي ، ولحظتها لم انشغل بغيره .. صدقني .. وذراعي تسرع الى الباب الجانبي تفتحه ، كانت ذراعي الاخرى تسبقها اليه تخطفه .. افلت مني ربما افزعه صراخ الركاب فجرى ناحية امه .. كانت وديعة ... وجهها بغير مساحيق .. حين تركها وجاء يقف الى جواري .. تبعته عيناها ، وبقيت تحومان حوله ، وتحيطانه بحنان دافق .. وهو لاه عنها .. يلاحق بعينيه المشتعلتين بالفرح انطلاق العربة ... وتراجع الاشجار والبنايات القائمة على جانبي الشارع ..

اردت ان يلتفت الي لألمل بسمته المتدفقة فوق شفتيه ... واعانق وجهه بعيني .. مددت ذراعي اليه وتركت اصابعي تنزلق فوق خصلات شعره المتطايرة ... دار برأسه ناحيتي .. سألته : تعجبك هذه السرعة ؟ .. اجاب وبسمته تغرق وجهه .. وصوته يكاد يبتلعه هدير المحرك : نعم .. ضاعفت السرعة ..

ولما فاجأني المحقق بسؤاله : لماذا اندفعت بالسرعة التي كنت عليها قبل الحادث ؟ .. قلت له : انت لن تفهمني .. ادهشني انه لم يثر ... ووددت لو تركني ابكي بين ذراعيه واروي له كل الحكاية ... لكن عيون الاخرين خنقت رغبتي .. وجمدت الاحساس الذي انبثق بأعماقي ..

قال : تكلم .. الشاهدة قالت انها نبهتك للمحطة التي خلفتها فلم تسمع لها .. استعر الغيظ بداخلي .. وتمنيت لو كانت لحظتها بالغرفة ..

صرخت في وجه المحقق : كان وجهها مهرجان الوان ومساحيق .. قاطعني المحقق مستغربا : ماذا ؟ .

انطفأ حماسي .. وقلت له : لن تفهمني .. وقلت لنفسي هي شتمتني .. سبت امي .. وربما لهذا قفز وجهها الحبيب الى الزجاج الامامي وتسطح فوقه .. كانت ملامح الوجه ترتعش بالفزع ... وحتى بعد ان تحطم الزجاج وتبعثر شظايا صغيرة حول جذع الشجرة

سجين زنزانة ٦

بقلم اسماعيل علي اسماعيل

الغول .. بقي الوجه ماثلا ... ترتعش ملامحه بالفزع .. وفي العينين دمعة لا تجد خدا تسقط فوقه ..

وسألت المحقق : لماذا لم يمسح الموت مهرجان الالوان والمساحيق من فوق وجه المراة الممصوصة وطوح البسمة المرحة من فوق شفتي الطفل ؟ لم يجب .. وقال : تكلم .. قل ما تريد .. قلت له : لو اني تكلمت فهل تبحث لي عن طفلي الذي خطفته امه مني ؟ .. تلاقت عيناه بالعيون التي تحاصرني وتغرقني بموجات الدهشة والاستغراب ... صحت فيه : لن تفهمني .. وانتم الاخرون .. لا احد منكم يفهمني .

قصة

سارع المحقق يرميني ببسمة ودود .. ويؤكد انه يريد ان يسمع لي .. قلت له : سوف اكون هذه المرة جادا للغاية .. وسأكشف سرا ربما يتحدث به كثيرون حتى محرروا الصحف .. لكن احدا لم يسمه بحقيقته .. وتوقعت ان يقاطعني ولمعة الاهتمام تجول بعينيه .. لكنه لم يفعل .. فتضايقت .. وقلت له : يبدو انك تظنني مخرفا .

قدم لي سيجارة وقال : عيبك انك تغضب بسرعة قلت في نفسي : هذه لحظة مناسبة لتصحيح افكاره .. فهو يظنني غضبت لان المراة الممصوصة شتمتني بعدما خلفت المحطة التي تريدها .. وليس هذا الذي حدث .. فقبل ان تشتمني نادتني لاتوقف .. التفت الى الوراء .. ما كادت عيناي تحطان فوقها حتى طارتا الي محملتين بالقرف .. واذ القيتا بحملهما داخل تجويف صدري .. شعرت بشيء يضغط رئتي .. يفرغهما من الهواء ويلصقهما بضلوع ظهري .. ولاح وجه الاخرى مليئا هو الاخر بالالوان ... انزلقت بسمتها اللزجة من فوق شفتيها والتصقت بوجهي فأعمت عيني .. حاولت جاهدا ان اخلص جفني من اللزوجة التي تثقلهما كيما ارى الاخر علّه يكون معها .. بدا طيفه خلفها غائم الملامح ..

زعقت فيها : ها هو يا ملعونة .. قالت : وهم .. انا لا احب غيرك .. قلت لها : انت تكذبين .. هو شاغلك وحده .. قالت : صدقني .. لا يشغلني سواك وطفلك ... قلت : ولمن الالوان التي تملأ طول النهار وجهك ؟ .. قالت : لك .. قلت : ومثلها تغيبك عن البيت .. قالت : شكوكك تفسد كل شيء

لحن

هلا سمعت لقلبي وهو ينتحب ... هذا هو اللحن ما غنى به الادب
فيه الانين صداه صوت محترق ... فيه ابتسامة ثغر وهو مكتئب
اليوم نحن كلانا في متاهته ... تجفو على الرغم احيانا وتصطحب
ندري العواطف تحيا في مشاعرنا ... وتلك عند سوانا كلها صخب
الطير رق لحالينا فاسمعنا ... شدوا وشعرا به الارواح تلتهب
والورق حين تغنيها قصائدنا ... تروح في الايك تلقيها وتنتحب
والنهر يحمل منها ما يسيل به ... في الشاطئين كأمواج بها لهب
ما للحياة غدت يا خل تدفعنا ... الي كفاح به الامواج تصطخب
تلك الحياة كأحلام نزاولها ... والعمر يجري ودنيا العيش تضطرب
ويا رفيقي كلانا سوف يدركه ... فجر بهيج لاهل الطهر مرتقب

عين شمس ـ القاهرة ... جميلة العلايلي

.. قبلني تعرف ان كان غيرك سبقك الى شفتي .. زعقت فيها :الماحيق تغطي كل اثر ..

قال المحقق وهو يميل ليشعل لي سيجارتي : لم تقل السر بعد ؟ .. نفسه.. فربما يكون يرغب في معرفة حملقت في وجهه لاكتشف خبايا اسراري الاخرى التي لا انوي الافضاء بها .. ويوهمني انها اطراف خيوط تدله على نهايتها .. وهو في الحقيقة يريد ان يضع منها حبلا يلفه حول رقبتي ..

قلت له : امهلني حتى انتهي من السيجارة .. ورحت افكر : لو اني كشفت له مؤامرات عمال الصيانة ضدنا نحن السائقين .. فماذا تراه يفعل ؟ .. قبل استلام الوردية قلت للاسطى حنفي .. ويدي تسبق صوتي اليه بسيجارة : خلاص يا اسطى .. كانت العربة ما تزال داخل الورشة .. قال : كله تمام .. قلت له : والسوست ... دس السيجارة بين شفتيه وقال : اسأل الملاحظ .. التفت الى الملاحظ .. كان يسمع حديثي فبادرني : طلبنا قطع الغيار منذ شهر قلت له : طيب ... عاجلني : استلمورديتك وتوكل على الله ..

عاد المحقق يتعجلني وقد رأى السيجارة بين اصابعي قد شارفت على النهاية .. تفحصت وجهه .. بدت ملامحه هادئة .. وعيناه تشعان الفة وطيبة .. قلت له : انت لست كالاخرين لهذا سأقول لك كل شيء ... اكدت لي بسمته الحانية انه طيب للغاية .. وانه ينظر سماعي بشغف .. هممت بتحريك شفتي .. جمدتا قبل ان تلفظا كلمة .. دهشت اذ شعرت بتحول الرغبة في الحديث اليه بعد ما اطمأنت له نفسي الى رغبة مضادة .. ان اكتم عنه كل ما لدي ..

وقلت لنفسي لماذا لا تكون بسمته تخفي لزوجة تملؤني قرفا بعدما اكشف له خباياي .. ببسمة مماثلة تسلل ناظر المحطة العجوز الى داخلي ذات يوم .. وامسك بكل الخيوط التي كنت اخفيها .. وحين اوليته ظهري وزعها على الاخرين بعد ان نسج منها النسيج الذي راق له .. وحين سألته : لماذا فضحت سري ؟ .. اقسم بحبه لبنته التي هربت مع حبيبها انه لم يقل لاحد شيئا .. قلت : وكيف عرف الاخرون ما قلته له .. قال : للحيطان آذان .. ورحت افتش بطول الحيطان وعرضها عن آذان تتلقف صوتي .. ولم اجد بها غير ثقوب وشقوق ..

الا اني قلت في نفسي ربما تكون هي الآذان التي يعنيها . ورحت اتوجه اليها ببعض حديثي .. ومع ذلك فلو انك تسمع لي مرة ... فسوف اتصرف عنها اليك ..لكنك انت الاخر لا تفهمني .. اقول لك : الصديد يجتاح صدري ... يوشك ان يخنقني .. وارض الزنزانة احسها تهبط كل ليلة شبرا .. وتتشقق عند وسطها .. وربما اسقط في بعض شقوقها .. تصرخ في وجهي : اسكت .. واستمر في الكلام عساك تبقى .. واذ تسارع بغلق باب الزنزانة دوني ... ارجع الى الحيطان .. افرغ في آذانها الخفية ما بداخلي .

القاهرة ... اسماعيل علي اسماعيل



الدكتور زكي المحاسني

زكي المحاسني

بقلم فوزي عطوي

* * *

في العبارات المأثورة « ان لكل امريء من اسمه نصيبا » . والدكتور زكي المحاسني الذي عرفناه اديبا باحثا ، وشاعرا مبدعا ، وقانونيا مدرها ، واستاذا جامعيا متفوقا ، واعتززنا به صديقا وفيا ، واخا كبيرا صفيا ، كان له من اسمه العبقري نصيب .

كان الرجل زكي القلب واللسان ، زكي الادب والوجدان ، وكان ينتسب الى المحاسن المفعمة بألوان المروءة والفضيلة والاباء ، لكنه كان حريا ، بحق ، ان تنتسب اليه المحاسن ، نظرا لدماثة خلقه ، وعفة قلمه ، وشمول انسانيته التي جعلته رائدا فريدا من رواد الخير ، والمحبة ، والصداقة النادرة .

وها انذا اقلب بين يدي صفحات من مؤلفاته القيمة ، وانقب في بعض مجموعات مكتبتي عن مقالاته وقصائده ، فتستوقفني ظاهرة عجيبة في ذلك القلم العف ، قلما استوقفت قراء المحاسني ، الا وهي ظاهرة فقدان طعم الهجاء ، بمعناه الفني ، فيما خطه نثرا وشعرا ، حتى بت اشكك فيما اذا كان ذلك الشاعر الناثر المحلق قد اعترف بوجود الهجاء ، في عداد الفنون الادبية المعروفة . وما ادري ان كنت مبالغا فيما اشكك فيه ، ام ان ذلك السيب الجواد من مدائحه الرقيقة ، واخوانياته اللطيفة ، قد حجب عن ناظري كل سمة من سمات الهجاء ؟

وفي قناعتي ان زكي المحاسني كان رجلا خيرا محبا ، وانه بالغ في تعصبه للخير والحب ، حتى أصم الاذن ، وصرف البصر ، ونزه القلم عن سماع السوء ، او النظر اليه ، او الخوض فيه . فما قرأت للرجل ، في بحوثه المتعمقة ، ولا طالعت في قصائده المتينة ، ولا سمعت منه شخصيا الا ذلك الحديث الرضي العاطر الذي يلتمس للاساءة العذر ، ويبحث للخطأ عن وجه صواب ، ويضفي على الموهبة ، مهما تدنى مستواها ، الوان الثناء المشجع المحب .

أفنعجب ، بعد هذا ، كيف يكون للمحاسني من اسمه نصيب ، فيأبى ان يجيء الحديث ، على سنان قلمه ، الا زكي المحاسن ؟!

وبعد ، فان اول عهدي بالمحاسني يعود الى اواخر الخمسينات ، اذ كنت اقرأ له ابحاثا ادبية ناجحة في « الاديب » و « الرسالة » ، فكان من دواعي شرفي واعتزازي ان جمعتنا الآصرة الادبية ، وضمنا اللقاء الفكري في المجلة الواحدة ، قبل ان نتعارف ، ثم استمرت تلك الآصرة قوية ، صادقة ، غالية ، بعد ان تعارفنا ، اذ تعددت لقاءاتنا على صفحات « الرسالة » و « الاديب » و « الرحمة » و « اصداء » ، ثم في مهرجانات وطنية وادبية ، وفي رسائل واخوانيات متبادلة ما زلت احتفظ بها ذخرا ثمينا ، ودليلا لا يرقى اليه الشك ، على نضارة خلق الرجل الغائب المتعدد المواهب .

كنت اقرأ زكي المحاسني ، فأحب أدبه ، واعجب بهذه الثقافة المحيطة الشاملة التي يتحلى بها ، حتى غدا لسان حالي معه يقول قولة بشار بن برد ، مع فارق المناسبة :

يا قوم اذني لبعض الحي عاشقة   والاذن تعشق ، قبل العين ، احيانا

لكن المناسبة تهيأت للقاء ما زلت اذكره بكثير من التأثر . ففي ايار من عام ١٩٦٧ ، احتفلت كلية الحقوق في الجامعة اللبنانية بذكرى اغتصاب فلسطين ، بمهرجان كان من خطبائه الاستاذ كمال جنبلاط الوزير والنائب ورئيس الحزب التقدمي الاشتراكي ، والدكتور ادمون نعيم رئيس الجامعة اللبنانية حاليا ، وعميد كلية الحقوق آنذاك ، والاستاذ شفيق الحوت مدير منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان ، وكاتب هذه السطور .

واترك ههنا الكلام للدكتور زكي المحاسني نفسه عن تلك الامسية الوطنية ، وقد نقلته عن مجلة « الرحمة » (السنة الخامسة ، العدد الحادي عشر ، تشرين الثاني ١٩٦٩) ، حيث يقول :

« حين دعاني الصديق عميد كلية الحقوق بالجامعة اللبنانية الاستاذ الحقوقي الكبير الدكتور ادمون نعيم لحضور مهرجان خطابي في مدرج كليته ، اخذ حين تلقاني بالترحاب يعزز هذه الصلة الفكرية بيننا ... في

تلك الامسية من اماسي بيروت الجميلة ، جلست الى جانب العميد ، واخذ الخطباء يعلون المنبر ، وكان الصديق الاوفى الاستاذ الكبير جان كميد حاضرا ، وانا اتلوه ، والردهة حاشدة بالرجال والنساء والطلاب والطالبات وبعض اساتذة الجامعة . وخطب العميد ليلتئذ بكلمة أودع القلوب جميعا بها الاعجاب به ، والثناء عليه والاكبار . كل ذلك كان عندي ضروبا من القول قد اسمعها ، ولست أشارك في صنع مثلها . لكن الذي كان من عملي ودأبي ، ومن عادتي وغنائي ، وما ربطت به حياتي وفكري ، هو الشعر وحده .

واذا بشاعر موهوب ، في ريق العمر ، سمعت الثناء عليه طويلا من أخي الكاتب جان كميد ، ونشقت من ريا احاسيسه شعرا فواحا لا تجود بمثله البساتين الا في هبة الربيع .. هذا الشاعر الكبير هو فوزي عطوي الذي سكن قلبه ألم قد لا يزول ، لكنه كان تفجيرا للشعور ، وانبعاثا لرهافة الوصف عنده ، ونضرة قصائده في الفكر والبصيرة .

في تلك الامسية القى الشاعر العطوي قصيدة رائعة ، وقد اثرت في الحضور تأثيرا عميقا ، واثارت الاعجاب والفخار . ومن جميل ما اتمثله ، القاؤه للشعر ، فان له طريقة محببة في القاء شعره ، اذ يرفق هذا الالقاء باللفتات والنظرات في غير تحبس او تحير » .

هكذا كان شعور المحاسني ، رحمه الله ، وهو يستمع الي ، اما شعوري ، فكان اعمق من ان اعبر عنه ، اذ فوجئت به الى جانب الاخ الاستاذ جان كميد ، حين كنت القي القصيدة على منبر الجامعة ، فعرفته على الفور ، من خلال صورته التي كانت تنشر في المجلات ، وكان اعتزازي بتهنئته لي ، بعد انتهاء المهرجان ، يفوق اعتزازي بأية تهنئة اخرى .

وبعد ذلك ، امتدت صداقتنا ، وتوثقت ، فكان والسيدة قرينته اديبة العرب الكبيرة وداد سكاكيني ، في عداد خطباء المهرجان الذي اقمناه في بيروت ، تكريما للشاعر الكبير الاستاذ البير اديب ، صاحب مجلة « الاديب » ، تقديرا لخدماته وخدمات مجلته للادب والادباء العرب ، وللدور الذي لعبته « الاديب » في التعريف بالادب العربي لدى عالم الاستشراق والمحافل الجامعية الدولية .

وما زلت اذكر بتأثر شديد كيف ان المحاسني الوافد من دمشق كان اول رجل يحضر الى مكان المهرجان ، فيسبق حتى المتنقلين الى ذلك المكان من بيروت الى بيروت !

ثم توالت افضال المحاسني ، وتعددت اياديه على ، كما تعددت اياديه على جميع اصدقائه من ادباء العربية ، ما بين المحيط والخليج ، حتى غدت اخوانياته الشعرية ظاهرة معروفة لدى جميع قرائه ، فكانوا يلقونها بالقبول الحسن . ولئن كان بعضهم قد أخذ عليه بعض المآخذ بسبب العجلة في نظم تلك الاخوانيات ، وفي جعله لكل موضوع ، مهما صغر ، قصيدة او مقطوعة شعرية ، فحسب الرجل ان أدبه كان صادرا عن خلق رفيع ، وحسبه ايضا انه جدد فكرة الفن للحياة والمجتمع ، ورفض فكرة الفن للفن التي تعداها الزمان .

ويا أيها الصديق الراقد في ثرى دمشق ، تحمل في قلبك الكبير أوجاع بردى والعروبة .

لئن كنت ابثك آهة موجعة ، من رحاب الارز الذي افتقدك صهرا عزيزا، وابنا وفيا بارا، فلانني اعرف كم عز علينا ، وعلى محبيك ، انك فارقتهم دون ان تلقي عليهم تحية الوداع .

لقد كان لك من اسمك نصيب ، حيا وميتا . وبعض فضلك علينا أنك جعلت لنا من اسمك ، نصيبا آخر .

فوزي عطوي

ذكرى

أواه ، يا اغنيتي
لم تكملي ، بعد ، طريق الربيع
مت ، يا اغنيتي
فمات ما نسجته من اساطير
واختنق هواي ، وهو رضيع ..
لم يعد في فكري فكر
لم تعد في قلبي اختلاجة
حكاية حبي اصبحت ذكرى
ستلامسها اصابع النسيان
ولن ترويها العجائز للصغائر
عن حلوة كانت تحب !!
آه يا اغنيتي ، يا منبوذة اللحن
وصلت بأضلعي رعشات الحنين
وحطمت في نفسي الكيان
الصقت قلبي على حائط المبكى
ومثله اصبح حجارا لا تبكي ..
اصبحت كقرميد منزلنا
عليه تتساقط ويلات المطر
اصبحت كزيتونة
ثمارها بعد لم تعتصر !!

امية بيطار

سيد درويش

بقلم احمد عبد المجيد

***

يوافق يوم الخامس عشر من شهر مارس من عام ١٩٧٣، مرور اثنين وثمانين عاما على مولد الموسيقار سيد درويش (١٨٩٢) الذي كان ظهوره في عالم الموسيقى ، بمثابة مولد عصر جديد من التطور بالموسيقى الشرقية من دائرة الرتابة والترديد ، الى التصوير والتعبير ، واستخدام انماط متعددة من الابعاد الصوتية في تكوين الجملة الموسيقية ، والانطلاق نحو آفاق واسعة لا يقيد خطاها التقليد الموروث من موسيقى السلف .

ولعل هذا العرض السريع ، الذي يتناول حياة سيد درويش ، ومحاولاته في تطوير الموسيقى الشرقية يسهم في تكريم ذكرى هذا الفنان الذي يعتز به الشرق العربي ، وكل متذوق للموسيقى الرفيعة التي تنشد النقاء والكمال والجمال .

مدخل الى قصة حياة سيد درويش

يقول ابن رشيق ـ شيخ نقاد عصره ـ في كتابه ، العمدة : « حتى ظهر المتنبي ، فملأ الدنيا وشغل الناس » ذلك ما كان من أمر المتنبي ، عندما شغل أقلام نقاد عصره ، بتقييم شعره ، رفعة تارة وخفضا تارة أخرى ، او بالكشف عن سرقاته ، وتأييد جانب ودفاع جانب آخر . وفي ايجاز ، انقسمت حوله الآراء ، وتنوعت القيم . والشجرة المثمرة ، اكثر تعرضا من غيرها للرجم بالحجارة .

أما سيد درويش ، فهو وان كان قد اشترك مع المتنبي في شغل الناس به ، وملء عالمه بذكره وبفنه وبأغانيه ، في فترة قصيرة من عمره ، الا ان هذا الفنان لم يحسن الناس الظن به كما يجب ان يكون عليه حسن الظن بالفن الجيد ، الا قبل وفاته بفترة وجيزة من الزمن ، من عام ١٩١٧ الى عام ١٩٢٣ .

على أنه قد شارك (موتزارت) في قصر عمره الفني . فكلاهما قد ملأ سمع زمانه ، واطرب أهل عصره بالمبدع الرقيق ، والنادر الاصيل منذ سن باكرة . وكلاهما قد ترك دنياه غير متجاوز الثلاثين من عمره الا بسنوات قليلة ، كما ان كلا منهما قد شيعه الى مقره الاخير ، قلة من اخوانه لا تتجاوز اصابع اليد .

وقد عانى كل من الرجلين من ضن النصيب ، وقسوة الحرمان ، الشيء الكثير . فرغم أن سيد درويش قد قدم للمسرح وللفرق الغنائية وللفرق الموسيقية ، ولاهل الفن من مطربين ومطربات ، اعمالا موسيقية ضخمة ، لا تزال تؤدي وتجتذب الاسماع ، الى وقتنا الحاضر ، فانه لم ينعم في حياته باليسر او الراحة من عناء الكد ، ومات فقيرا خالي الوفاض .

ورغم ان (موتزارت) الموسيقار النمسوي المولود في مدينة (سالزبورج) عاصمة الموسيقى العالمية (١٧٥٦ ـ ١٧٩١) يعد بين الموسيقيين ، من اكبر اساتذة الفن الدرامي في الموسيقى الغربية ، بما الفه من اوبرات (زواج فيجارو) و (دون جوان) و (الناي الساحر) ، الى جانب العديد من سيمفونياته وسوناتا البيانو ومقطوعات الموسيقى الكنسية ، ومعزوفات موسيقى الحجرات ، فقد عاش كل من الرجلين من اجل وضع موسيقى تنشد الكمال والنقاء والجمال ، ورحلا معوزين هدهما الكد في تحصيل الرزق . وكأنما أرادت أوجه الشبه أن تجمع بينهما في مغامراتهما في عالم الحب والمجون ، الذي راحا يغبان منه وينهلان ، ما شاءت لهما فرصة العمر ومدى الاجل ، (سيد درويش) مع ملهمته (جليلة) و (موتزارت) مع (الويزافيبر) .

النبوغ المتألق ، ورسالات أهل الفن

وكما أظهر (موتزارت) نبوغا في سنواته الباكرة ، بين خمس وتسع سنوات ، اظهر كذلك رفيق روحه (سيد درويش) قدرا وافيا من النبوغ في مطلع حياته . وكان الامبراطور (فرانسيس الاول) امبراطور النمسا يلقب (موتزارت) (١٧٥٦ ـ ١٧٩١) بالساحر الصغير ، منذ ان رآه يقود الفرق الموسيقية وهو في التاسعة من عمره . وفي الحفل الكبير الذي اقيم عام ١٩٥٥ في (سالزبورج) ، احتفاءا بمرور مائتي عام على مولد (موتزارت) ، قال رئيس جمهورية النمسا : « ان النمسا لن تسمح بأن يعيش عبقري فقيرا ، ولن تسمح كذلك بأن يموت منسيا » .

وكما ان (هايدن وشوبان وبيتهوفن وشوبرت وشومان وشتراوس) قد ساروا على درب (موتزارت) في التأليف الموسيقي ، وانعكس ذلك على سمفونياتهم واوبراتهم وعلى فالسات شوبان وشتراوس ، منذ ان استقوا من ذلك الينبوع الصافي الرقاق ، كذلك دأب كبار الموسيقيين الشرقيين الذين ظهروا بعد رحيل سيد درويش على الارتواء من معينه ، حتى لقد اتسمت الموسيقى والاغاني فيما بعده بفترة زمنية طويلة ، بطابعه واسلوبه . وكانت ألحان واغاني الموسيقار محمد عبد الوهاب في مطلع عهده بالتأليف الموسيقي والتلحين والغناء تتسم بطابع سيد درويش منذ ان عل ونهل من موسيقى هذا الفنان الذي وجد فيه عبد الوهاب آمالا راودته طالما كان ينشدها ويطويها في نفسه ، حتى أقبل

(سيد درويش) على التعبير عن هذه التصورات دون خوف من نقد او اتهام بالتجديد والخروج على التقليد .
وراح عبد الوهاب يسلك طريقا خاصا فيما بعد ذلك ، قاعدته درويشية ، ووجهاته وشرفاته ، ونوافذه وديكوراته مستمدة من ذات نفسه ومن اجتهاده ودراساته واطلاعاته وسماعه المتنوع ، بين ترتيل وذكر ونشيد وقصيد ، وموال وسيمفونية واوبرا واوبريت وفالس وموسيقى الرقص الحديث ، بدأ بالتانجو حتى الجيرك المعاصر . ولا بأس عنده من استخدام جملة من موسيقى الجاز ، انتقلت من الغاب على محفات من ايقاعات الطبول الافريقية ، اذا ما راقته تلك الجملة واستقرت في اذنه ، وذلك بالاقبال على تطويرها ليخرجها كثمرة الاناناس ، من صورتها البدائية الفجة ، الى تلك الثمرة من الاناناس ، في معلباتها الانيقة المشتهاة ، وبهذا دانت لعبد الوهاب اطراف النغم ، وامتلك ناصيتها بادراك واقتدار ، مردهما الى ثرائه الفني وموهبته الخلاقة .

كان سيد درويش منحة الهية سامية ، ترك من ثمرات فنه الكثير الذي ما زال في حاجة الى جلاء روائعه الموسيقية والكشف عن هواتفها . والافذاذ في كل علم او فن ، على قدرة بأن يأتوا بما لم يقله او يعلمه من سبقهم ، بفضل ما أودع في نفوسهم وقدراتهم من طاقات خالقة ، شاء الله لها ان تكون بارزة متألقة . وتلك ارادة الله وحكمته .

والافذاذ في كل علم او فن ، قلة بين الناس ، توحي بان الله ، اراد بهم ان يشيعوا بين خلقه المتعة واللذة والمعرفة وحب الحياة ، وان يروي بثمراتهم ما يجف من جوانب العيش ، وان ينعش بهم ما يذوي من حيوات ارهقها الكد والعناء .

ومن فضل الله على الناس ، ان يرزقهم في الحين بعد الحين ، بعبقرية متألقة من عبقريات هذا النفر النادر من الناس ، لينعموا بنتاج اعمالهم ، وومضات عواطفهم التي تنعكس على ما يقدمونه من فنون تعبيرية او تشكيلية .

نشأته وميله الباكر للفن

ولد الشيخ سيد درويش في حي كوم الدكة بالاسكندرية ، من أبوين ، رقيقي الحال . وقد نشأ فتانا نشأة دينية ، رضوخا لرغبة والده في ان يراه من رجال الدين الاجلاء . وقد رضخ سيد درويش لرغبة والده الى الحد الذي اصطدم عنده بنزعاته الذاتية ، وميله الذي لم يستطع الا ان يستجيب لهواتفه الغيبية . وراح الفتى ينشد مع المنشدين في المعهد الديني الابتدائي ، الاناشيد الدينية ويرتل سورا من القرآن . فلما آنس في نفسه القدرة على ان يستقل بالانشاد ، وان ينوع فيه ، وان يخرج به عن حدوده المرسومة الى عالم طليق ، هو عالم الغناء ، راح يتعلم العود خلسة ، ثم لم يلبث بعد ان توفي والده ، ان انقاد الى ذلك الهاتف العلوي الذي حمله على ان ينطلق نحو هدفه الى حدود لا علم لاحد بمداها .

كانت الموسيقى هي كل شيء في حياة هذا الفنان ، وفي فكره ، وفي نظرته للناس وللدنيا . وقد خاصم بسببها اهله حتى أقروه على ما أراد صاغرين ، وراح يغني في مطلع حياته الباكرة ، في مقاهي الانفوشي وكوم الدكة وحيث يدعى للغناء . وكان يضع الالحان التي كانت تروج وتتردد احيانا ، او تفشل وتذوي . وكان يختلف مع أصحاب هذه المقاهي بسبب طمعهم في استغلاله ، ولم يكن طامعا في كسب ، بقدر ما كان ساخطا على جحود من لا يقيمون للفن الصحيح وزنا .
وكان الشيخ سلامة حجازي في احدى زياراته للاسكندرية ، قد استمع اليه في احد هذه المقاهي ، فشده ما كان يتغنى به ، وراح يلح عليه في ترك ما هو فيه من مجال ضيق لا يتسع لفنه وطموحه . ورجاه ان يصحبه الى القاهرة حيث يؤهله للعمل على مسارحها . ولكنه تردد وان كان قد وعده بالاستجابة لرجائه .

ورغم صبره على ما كان يقابله من معاندة الاقدار ، فان سخطه الهادر على فنه بسبب جحود من حوله ، صرفه فترة عن السير في طريق أمله في الغناء الذي حسب انه طوع يده ومستجاب رغباته ومقيل هواه . ولم يلبث وهو مكره وصاغر ان ترك الغناء ، وراح يشتغل بالنجارة حينا مع زوج شقيقته ، وبالبناء حينا مع بعض المقاولين ، وباعمال أخرى صغيرة ، كان ينتقل بينها كالنحلة ، دون ان يعلم انه كان يجمع الرحيق الروحي من هذه الحرف ، ليعكسه في مستقبل الايام على اغانيه الجماعية ، لطوائف العمال واصحاب الحرف ، ويبث فيه من ذات نفسه وألم روحه ، مدى ما كان يلقاه من نكران ، وما كان يراه من تحكم أصحاب الاعمال . كانت تلك الاحداث تجري عام ١٩٠٩ ، عندما كان يقوم بعمله في البناء مرددا لزملائه من العمال ما كان يلقيه من اغانيه الرائجة ، حتى أن اصحاب مقاولة البناء ، عندما احسوا بحسن انتاج العمال وانتعاشهم بما كان يغنيه سيد درويش ، طلبوا اليه ، الا يشغل باله بعمله كبناء وان ينصرف الى الغناء للعمال .

لقد التحم سيد درويش بطوائف العمال وبالشعب الكادح ، ودرس عن قرب مشاكله ، ووعى معاناته وامتزج به امتزاج الروح بالروح . فهو واحد من هذا الشعب الكادح ، الذي عرف بنفسه قدر استغلاله والطمع في تسخير جهده والتقتير عليه فيما يستحقه جزاء ما بذله من عرق وعناء . لقد شاهد الحمالين والسقائين والباعة المتجولين وخدم المقاهي والعمال والصناع من مختلف الحرف وراح يتحدث بلسانهم عن شكاواهم ومعاناتهم بالنغم ، حديث المجرب ، المكتوي بنفس النار ، وبنفس القدر من هذا الاكتواء . وما تزال مطربة الجيل فيروز

تتغنى بهذه الروائع .

كانت الالحان الجماعية على لسان أصحاب الحرف هي ابرز ما اشتهر به فن سيد درويش . فالتعبير الصادق ، والتصوير الامين ، والقدرة على الابانة ، والوسيلة في استنطاق هذه الطوائف بمختلف الانغام ، للاعلان عما تشكو منه ، كانت بمثابة رسالة واسلوب جديد لم يسبقه اليه سابق ، او يلحق به لاحق . وليست العبرة بتحريك مجموعات صوتية لتؤدي نغما من الانغام، وانما العبرة في انطباق اللحن على الكلمة في الحديث والحوار بكل صدق وامانة واقتدار . وكانت هذه القدرة ، هي زاده عندما غزا مسارح القاهرة باستعراضاته واوبريتاته في الفترة بين ١٩١٨ و ١٩٢٣ وهي الفترة الذهبية في حياته .

لقد التحم بالبسطاء من الناس ونبت من الشعب ، واحس معاناته ، حتى اذا ما اشتد عوده ، راح يشارك بفنه في ثورة الشعب عام ١٩١٩ وكان هدفا لغضب الاستعمار . وكانت اغانيه الوطنية وما تزال عالية النبض ، خالدة الذكر : بلادي بلادي ـ أنا المصري كريم العنصرين ـ قوم يا مصري ـ علشان ما نعلا ، الى جانب عشرا تالاوبريتات التي كانت تنتقد الاوضاع السياسية والاجتماعية مما أدى بالسلطة الى غلق مسرحه وافلاسه .

علامة بارزة على طريق سيد درويش

حدث لسيد درويش عام ١٩١٠ عندما كان يزاول مهنة البناء ، ان حل بالاسكندرية ، امين عطا الله احد اصحاب فرق الغناء السورية . وقد قصده في موقع عمله وما زال به حتى وافق على ان يصحبه الى سوريا في رحلة فنية مع جوق عطا الله .

أمضى سيد درويش خمس سنوات يطوف مع الجوق بمختلف البلدان . وساعدته تلك الرحلة على ان يلتقي باساتذة الموسيقى من السوريين امثال عثمان الموصلي ، الاستاذ الكبير الذي اخذ عنه سيد درويش علم الموسيقى وفن التدوين واجادة العزف وحفظ الادوار والموشحات القديمة حتى اتقنها ، واثرت فنه بروافد جديدة انصبت في نهره الفياض الدافق .

ويمكن القول ، بأن المادة التي صنع منها سيد درويش تمثال فنه ، بعد ان صبه في القالب الذي ارتآه، كانت تتكون من عناصر عديدة ، بعضها مجلوب ، واكثرها من ذات نفسه وما انطوت عليه من أصالة وقدرة وعبقرية وعرق شرقي أصيل .

الركيزة الاولى : كانت تتكون الى جانب استعداده وموهبته مما تلقاه من دروس الانشاد والتلاوة والترتيل القرآني في المعهد الديني الذي الحقه به ابوه . وكان يستمع الى اغاني من سبقه من ادوار عبده الحامولي ومحمد عثمان وداود حسني وكامل الخلعي . وكان يتزود من هذا الينبوع الصافي . وهو في هذه الفترة كان ينصرف للتحصيل السماعي وشحن البطارية بالشحنات التي تدير الموتور ، الذي يتولى هو قيادته والاتجاه به الوجهة التي يرضاها . وكانت هذه الادوار القديمة بالنسبة اليه ، كقواعد النحو لمن يتعلم لغة ما . ذلك انه عندما راح يغني الدور والتوشيح ، كان يراعي قواعد النحو المستمدة من أولئك القدامى ، ويروح بأسلوبه الخاص يؤدي غناءه من ذات نفسه ومن امتزاجه بعصره وبما يعتمل في وجدانه وما يتأثر به شعوره ، وما يعكسه هو من هذه المشاعر والاحاسيس على ما يؤديه من الحان .

وقد كان للالحان القديمة في قلبه كل احترام وتبجيل ، وهي من أجل ذلك تستحق ان يحتفظ بها وان ينهل منها كلما رأى ذلك مناسبا ، على الا يكون ذلك الا بقدر ، لا يجور على ما هو بسبيله من انتقال وتطور بالموسيقى والغناء الى اجواء تدفعه اليها هواتف من دخيلة نفسه ، وتمليها عليه جدة في الافكار ، وفي النظرات ، وفي التقدير بميزان عادل امين .

الركيزة الثانية : كانت تتمثل فيما اغترفه بكده وجهده من هذا البحر المترامي البعيد الغور ، الملىء بالنغم والالحان .

كما كان يجمع من خلال اذنه الموسيقية ، التي كانت تلتقط كالرادار ، اخفت أصوات النغم ، وأبعد أصداء العزف ، اذا ما استساغ نغما مما تلتقطه . فان وجد به لكنة غربية غير شرقية راح يروض ما سمع حتى يصبح مألوفا مبرءا من كل دخيل .

ويمضي في نظم هذه المواهب الطبيعية والمكتسبة في عقد جمع حباته حبة حبة ، حتى يبدو في جمال اللؤلؤ في صفائه وانتظامه . وكانت الحانه تتميز بالتدفق الحيوي في السياق والسرد ، دون افتعال او عناء في الاداء او الحفظ ، كأنما قد صيغت ليؤديها أي انسان مهما كان عاطلا من حلاوة الصوت .

الركيزة الثالثة : كانت تتمثل في هضم واستيعاب كل ما حصله من الفنون الموسيقية التي صبغها ووشاها بموهبته وعبقريته . وفيما قبل سيد درويش كانت العبارات والجمل الموسيقية القصيرة تتكون من تتابع الدرجات النغمية المتقاربة ، أي من درجة صوتية معينة في المقام الموسيقي الى درجة مجاورة ثم الى أخرى مجاورة ثم العودة الى البداية في تكرار ورتابة . وعندما ظهر سيد درويش ، راح بما اجتمع له من مواهب يمد الحانه بالحركة والحياة والوضوح وجمال التعبير الموسيقي ، بعد ان نقل التعبير الموسيقي العربي من مرحلة الشكل الايقاعي الواحد المتكرر في الاغنية ، الى الاشكال الايقاعية المتنوعة والمتدفقة حيوية في ادواره

الامير

●

اتيت رحـاب الامير .. وقفت
ومـن ناظـري يطـل سـؤال
وصـوت يغيـب وراء الشفـاه
فهل انت خلف الحجاب اميري ؟

ركعت .. مددت يدي في خشوع
وفوضى شعور ، وظـل دمـوع
وهمـس يعربـد بيـن الضلـوع
اجبني فانـي اخـاف الـرجوع

اذا يـا اميري رجعـت اليـك
ومزقت جلـدي ، وغيرت وجهي
اذا مـا رجعت سأهـدم هـذا
واجتـاز ثغـرة بـابـك قسـرا

اكـون عبـرت جميـع الجسور
وحطمت قيدي ، وكـان النشور
الجدار ، واقحم صمت الصخور
واكشف عنـك جميع الستـور

حزيـن انـا ، يا صديقي ، حزين
ولـم يك خلف الحجاب اميـر

فشمسـي تجنح نحـو الغروب
وكـان الخواء يلـف الـدروب

دمشق

سلافة العامري

الغنائية وديالوجاته ومونولوجاته وأوبريتاته التي ما تزال الى يومنا نابضة كأنها بنت الساعة ، وهو أمر كانت قدرة سيد درويش تستوفيه وتستوعبه بأصالة واقتدار .

صفات أصيلة في سيد درويش

انك اذا بحثت عن سيد درويش في انسانياته او غرامياته او وطنياته او سخرياته ، طالعتك صورته المشرقة الثرية بالالوان والاضواء والظلال ، ولقيته في كل هـذه المشاعر والاحاسيس ، الفنان المرهف الحس ، الـذي لا يرسل اللحن الا من خلال تصوره الواسع المدى وشعوره المدرك العميق .

ولو ان سيد درويش لم يرفع صوته بالغناء ، او لو انه لم يقم بتلحين روائعه التي تعـد بالمئات ، والتـي تتصدرها اوبريت شهرزاد والعشرة الطيبة والباروكة ، لكانت حياته ، ووسيلته في كسب رزقـه وعـزة نفسه والاعتداد بكرامته وتعففه وكبرياؤه وكرمه ووفاؤه ، كانت كل هذه الطبائع والصفات تكفي لتصبح شهودا علـى انه فارس في كل ميدان ، وانـه فنان اصيل عريـق العنصر فياض المواهب ، كثير العطاء ، أسطوري في مثاليته وفي عواطفه المشبوبة عشقا او غضبا او اهتياجا مـن اجـل وطنه وابناء وطنه ، وهي مشاعر كلما ربت كلمـا ازداد رصيد الفنان وارتفع قدره وخلد ذكره .

وقد كان يرى ان العالم العربي في أمس الحاجة الى جميع انواع الموسيقى ، مـن اوبرا الى اوبريت الـى معزوفات تصويرية تشبه السيمفونيات الى اغاني شعبية وجماعية . وكان في نيته السفر الـى ايطاليا لدراسة الموسيقى العصرية وخاصة مـا تعلق منهـا بالميلودي والاوبريت ، لينطلق نحو آفاق جديـدة تتجاوز الحدود الاقليمية ، طالما كانت الموسيقى لغـة عالميـة ، يتفهمها الناس في كل مكان وزمان . الا ان القدر عاجله وهـو في انضر سني عمره ، في شهر سبتمبر من عام ١٩٢٣ .

هذه الجوانب من حياة سيد درويش وفنه ، انمـا هي لمسات تكشف عن دخيلة هـذه الشخصية الثريـة بالفن وبالمروءة وبالوطنية ، وبكل ما يتقلب فيه الفنان من يسر او عسر ، ومن علو صيت او خمول ذكر ، ومـن اضطرابه بين اليأس حينا والامل حينا ، الـى ان انطفأت الشعلة جسدا ، اما وهجها ، فانه ما زال يتلألأ في صورة ما خلفه من بعده من تراث خالد على مر الزمن .

القاهرة

احمد عبد المجيد

قدحت شرارة من الجمال في عينيها ، خر على اثرها صريعا ، فلم يترجل من السيارة ، في حمص، كما كان متوقعا ، بل تابع رحلته الى دمشق . واني له ان يعصي لها امرا ، وقد وضت مسدسها بين يديه واومأت اليه الا يدعها فريسة بين الذئاب .

ضرب اخماسا باسداس ، فلا مفر له من ان يكون وقود المعركة ، وما يرتضي لنفسه هذا المصير . وتبت يداه ! او تخدعه انثى فينقاد لها صاغرا ، وما له بها سابق معرفة ؟ وما يدريه ان الركاب الثلاثة يعلمون من امرها ما لا يعلم ؟!

وسوس له الشيطان ان الزمن قد كبا بها حينا من الدهر . والبرهان : انهم يتطاولون بالسنتهم عليها ، بلا هوادة . كاد يسترسل في هذا الوسواس لولا تبكيت الضمير ظاهر الحال انها امراة محصنة وذات بعل . في اصبعها خاتم الزوجية ثم ان الكبرياء تعلو محياها. لباسها محتشم . من حماه الى حمص لم تأت بحركة تبعث على الريبة ... فعلام هذا الهذر المجوج ؟

لعل الظنون تساورهم ، لعلة انها وحيدة ، كعصفور في مخلب الباشق . ولكنها في جواره ثم ان على يسارها السائق الذي لا يشك بمؤازرته له عند الحاجة . تفاءل من سرعة السيارة الزائدة لانها دليل استياء السائق ايضا . بلغ جرح روحه حد النزف لفقدانهم مزية الذوق فلم يكترثوا به . تمتم كمن يتكلمون من بطونهم :

ـ في حسبانهم انني من سقط المتاع المجرد انني لا البس القميص والكرافات راودته هسة بصفحة خياله : في محيط بلدته الصغيرة ، يخشاه الناس . يتطاول عليهم بالكلام حينا وبالضرب حينا ، فلا يجسرون ان يمدوا له يدا بسوء ، لشدة بأسه وضخامة جثته . يكاد الزبد يتطاير من شفتيه الغليظتين عند الغضب ، كالجمل ، ولكنه يحذر المشاكل ، فلا يورط نفسها بها ، مخافة ان تثور ثائرته ... آيته ان يشقى ليسعد ابناؤه ، وقد انشأهم في احسن تقويم ، بفضل زوجه البارة .

شمخ برأسه عندما ذكر اولاده . افما تخطر الكياسة في قوامهم وحديثهم ثم اليسوا متفوقين في مدارسهم ، على الرغم من انهم يعاونونه في دكانه فيتعاطون البيع والشراء ، اوقات فراغهم ؟ طاب له ان يقارن بينهم وبين الجالسين وراءه . واستدراكا لهم عندما يكبرون ، انذرهم متوعدا :

ـ تحلوا بالذوق وافعلوا ما

بائع الخضار

بقلم مصطفى الخش

تشاؤون .

تسربل بالطمأنينة بعد ان شرد ذهنه الى ابعد مما يجري حوله ، فأخلد الى النوم . خيل اليه ان نجمة من السماء حطت على كتفه ، عندما مالت اليه ولامسته بشمالها . فتح عينيه على نظرة عتب قاسية . انشقت شفتاها الرقيقتان :

ـ هات المسدس .

وكمن مسته نار .

ـ وماذا انت فاعلة ؟

ـ ما بك نخوة ولا تعرف حق

قصة

الجار على الجار .

تفلسف ، كالقابع في براد :

ـ الصبر من شيم الرجال .

قطبت حاجبيها ، باحتقار :

ـ ولكن الصبر من طبيعة الحمير ايضا .

ـ ان للصبر حدودا .

دعني اثار لكرامتي ، فليس في السيارة غير النساء .

جاءت هذه الهمسات ضغثا على ابالة حتى لكأنها تشعل النار في الفتيل . ضجت النخوة في راسه فحركت نار الغضب في صدره . ولما مدوا السنتهم تارة اخرى ، لم يحسب حسابا بالميزان القوي غير المتعادل بينه وبينهم بل مسك بزناد المسدس ثم استدار نحوهم ، يوسعهم شتائم وسبابا . كانت عباراته المتتابعة ، كمدفع رشاش ، تنطلق من بين شفتيه المزبدتين ، شواظا تكوي جسومهم ، وتوقظ ضمائرهم ، وترد اليهم عقولهم . لقد اضلتهم الشهوة فباتوا كأحقر ما يكونون ، وبذلك خفضوا من مستواهم الى الحضيض . على انهم تزملوا بالعقل آخر الامر ، فكتموا اهانة انفسهم وركنوا الى الصمت .

وكالسكون الذي يعقب العاصفة، فقد بقي الجميع ساكنين ، كأن على رؤوسهم الطير . فتح السائق الراديو ، تدليلا على اعجابه . ولما ترجل الركاب الثلاثة في دمشق ، اصر ان يوصلها الى بيتها ، تكريما لها وتكفيرا عن ذنبه معها لان مهمة تأديبهم كانت ملقاة عليه ، لولا انه خشي بطشهم ، لانه مجرد سائق بالاجرة . وليس له ان يتصرف من عندياته ، فقد لا يقره صاحب السيارة على اي موقف بطولي لا يتفق مع مصلحته المادية .

انزلقت من السيارة بخفة الطير. وجهت شكرها للسائق ومسكت بيد جارها تدعوه لزيارتها . احس بمغناطيسية قوية تشده اليها فانجذب نحوها . كاد يطير من

المزرعة الخضراء

يا لروض لم تبصر العين مثله ... فيه تختال نخلة قرب نخله
وبساط من الربيع نضير ... وجنان على النعيم مطله
وحسان تعلل النفس بالوصل ... شملا يحيي بشوق التعله
وتلال على السفوح تجلت ... بجمال يفوق طور التجله
تسرح البهم في اخضرار الاماني ... تثلج النفس بالجمال ومقله
ارسل الزهر طيبه وسناه ، ... عانق الورد بالصبابة فله
والفراشات بالعبير سكارى ... كالعذارى شكون صبا موله
تنشد الطير اغنيات التصابي ... فازدواج فنقلة اثر نقله
ترسل الشمس نورها في حقول ... يغمر الخير للمزارع حقله
انما الله ظاهر ومقيم ... في رحاب الحقول يبسط ظله
فانبلاج الصباح اضواء خير ... وانحدار المساء سحر وشعله
والليالي فيها النجوم سرايا ... كل نجم يبغي الحبيب ووصله
يا جمالا لا ينتهي في نعيم ... كل صب ينبغي الجمال واهله
متعة العمر جهلنا في صبانا ... يمرح المرء ، لا يحكم عقله
ان في البر والحقول عطاء ... يغمر العيش بالسعادة كله

سان باولو ـ البرازيل

فيليب لطف الله
رئيس جامعة القلم

الفرح عندما تأبطت ذراعه . عصف به الندم ، عندما وقف زريا ، كحذاء قديم ، ازاء زوجها الذي تغضن وجهه من الدهشة والارتباك .

افرخت روع الاثنين معا عندما ندت عنها صيحة ملؤها الارتياح والسعادة :

ـ انه اخي . وفضله انه لم يدعني فريسة بين الذئاب .

ازداد زوجها عجبا .

ـ حد علمي انك لا تكتمين عني امرا . فلماذا لم تأت على ذكرهم عندما هتفت الي قبل اقلاعك من حلب .

ـ الذئاب كانوا في الطريق ولا تتعجل الحديث قبل ان يتناول اخي طعام الغداء

حسب انه في الجنة ، عندما تصدر المائدة . كانت عذوبة الحديث اشهى انواع الطعام . تمنى لو يظل لاصقا بكرسيه مدى العمر . شده لحملها السلاح فلتعثم بالسؤال .

ـ المرأة عندنا لا تحمل السلاح .

تبسمت عن الدر المكنون :

ـ ان للمرأة دورها في المعركة مع العدو .

وبارتياح اضاف الزوج :

ـ ان اختك تحسن اطلاق النار مذ كانت طالبة في الفتوة وعندما ترافقني الى الصيد .

انتفخت اوداجه غبطة وسرورا .

ـ بورك الصياد والصيادة .

كان الوداع حلما ، لا احلى ولا ابدع . شدت الزوجة يمينه بكلتا يديها . طبعت على جبينه قبلة . ترفق البشر في محياها عندما نطقت بكلمات كأنها زقزقة العصافير :

ـ هذا بيتك في دمشق واني لك اخت .

عانقه الزوج بحرارة وثنى قائلا :

ـ ان لك علينا دينا لا نستطيع وفاءه .

عبر عن امتنانه بعفوية وبساطة .

ـ الفضل لا يعرفه الا ذووه .

... ارجع بصره كرتين الى الوراء ، قبل ان يلقي نظرة الوداع على المنزل الجميل ، وبحسرة ممضة :

ـ كنت في الجنة فصرت الى دنياي .

وافته الفرحة عندما تحسس جيبه :

ـ الدنيا ما يزال فيها خير فيجزى صاحب المروءة .

هتف قبل ان يطلق ساقيه للريح .

ـ الان وقد توفر لدي المال ، فلسوف ابتاع اجود انواع الخضار والفاكهة ، من بلد اختي ... من دمشق قلب العروبة ، وموطن المروءات !!

مصياف ـ سورية مصطفى الخش

شارب النارجيلة

اطال يعب من سؤر الندامى   لظى ويمجها سما زؤاما
سحائب ليس فيها من زلال   لمستسق بها شام الغماما
وكيف يرام عذب من ضرام   وهل يوما لظى شفت الأواما
بلى قد تعذب الذكرى وتذكو   لواعج تلهب الصدر اضطراما
سحائب كلما عصفت بأفق   حسبت يدا لها قدحت ظلاما
تلبد غربها كقتام ليل   ترامى غربه جهما قتاما
ذلاذلها منمنة الحواشي   كأن يدا بها صقلت حساما
وما فتئت تدق لها غواش   تمج الداء والعلل الجساما

أعذبا عب شاربها وشهدا   ام الاسقام يكرعها لماما
اذا اشتد السعال عليه ضاقت   جوارحه ولم يملك زماما
تحركه اللواعج كيف شاءت   يمينا او شمالا او اماما
فيخفق جانح كجناح طير   رمته يد فأقصدت القدامى
ويشهق صدره مما عراه   كمذبوح على شطن ترامى
وان خف السعال عليه اعطى   غريزته الزمام هوى وجاما
اطال عذابه بيديه لما   عن الاصباح من عنت تعالى

ثوت (نرجيلة) في عقر ركن   وقرت كالاذى سكن الغطاما
مطارفها الزجاج صفت وراقت   كما صفت المدامع من تيامى
تكاد لرقة والفرط صقل   تسيل كغرب ساريه تهامى
تلوح لناظر في جنح ليل   وقد سطعت مطارفها ضراما
وما ينفك شاربها حفيا   كأن بها يرى بدرا تماما
يسامرها بهمس من ضمير   ويرسله هتافا او بغاما
يصعد شجوه بشهيق شجو   لظى ويعب انفاسا حراما
ويرسلها دوائر من دخان   ترامى غربها الداجي قتاما
ويمعن في الفضاء كمستثيب   توخى الكسب اوشام الغماما
هواجس لم تزل في النفس تذكو   لواعجها وتصطفق احتداما
يبهرجها الهوى فتلذ طعما   وينشق دونها عرف الخزامى

ترى سمارها رقوا وراحوا   بحلبتها على ضغن كراما
يطيلون الحديث بلا خصام   ويخضون العداوة والخصاما
ولو كشفتهم وسبرت غورا   لمست الداء والليل الجهاما

دمشق

عدنان مردم بك



نقـولا يوسف

يوم في زحلة وايام مع ادبائها

بقلم نقـولا يوسف

***

أحيى مهرجان زحلة الادبي – في ايلول ١٩٧١ – ذكريات قديمة متجددة عن هذه البلدة الخالدة .. وكان بعض الصحف العربية (١) قد نقـل الينا طرفا من انباء هـذا الحفل الـذي ضم نخبة مـن ادبـاء العرب المجتمعين لازاحة الستار عن التمثال المقام لنابغة الشعر احمد شوقي في « وادي العرائش » – (او العرائس) – حيث كان يطيب لشوقـي الجلوس الى عرائس الشعر كلما صعد الى زحلة ، وينظم غرر القصيـد مشيدا بمحاسن تلك البقاع – ومن ذلك قصيدته التي تغـزل فيهـا « بجارة الوادي » ، ونغم الفنان محمد عبـد الوهاب بعض أبياتها ، فذاعت في كل واد ..

وكان لمساهمة « بلدية » زحلة في احياء هذه الحفلة ، ورعايـة رئيس الجمهورية اللبنانية السيـد سليمان فرنجية .. ثـم مباراة الخطباء والشعراء في القاء روائع المنثور والمنظوم ممجدين هذه البلدة واهلها ، مكرمين خالد الذكر ضيفها ، ما ذكر بعكاظ وامجادها ، واضفى على المهرجان رواء ، وعلى مستلهمات زحلة ثراء .. وكان في مقدمـة الخطباء السيد صائب سـلام رئيس الوزراء ، ورياض طـه نقيب الصحفيين اللبنانيين ، ويوسف يزبك كبير المؤرخين ، وخليل فرحات استاذ الادب بزحلة .. ومن الشعراء المجيدين : شاعر زحلة المعروف رياض المعلوف ، ومواطنه الشاعر الفحل سعيد عقل . واحمد رامي

---

١ – جريدة « الاهرام » – ومقالة بمجلة « المصور » في ١ – ١٠– ١٩٧١ للشاعر صالح جودت – و « الهلال » نوفمبر ١٩٧١ قصيدة احمد رامي – و « الاديب » اكتوبر ١٩٧١ ص ٦٢ .

من مصر ، ولميعة عمارة من العراق ..

ومما أنشد هناك سعيد عقل :

على اسمك بين الحور أغوى واهدر ... أنا النهر،شوقي، اينا اليوم اشعر
هنا الذكريات،المجد،ما بعد من صبا ... هنا انت ، فليرو الزمان ويسكر
طرقت ، لمام الطيف ، ذات عشية ... وكوكب من حوليك جن وسمر
ومتى اذا غنى « شفيق » ورنمت ... بلابل ، واعلولت لما قال انسر
وعرج صوب الكون «راجي» يزيده ... صبا ، وتفادت حكمه تتازر
ولاعب بعضا من خواطر او منى ... لسان لذاك «الشبل» بالضوء يقطر
وكانت نسيمات لزحل علياة ... تجى وتهى والليل تعبان مقمر
بسائل هذا الكون اكبر ام همو ... نماهم وغنى أم نموه وخبروا
هممت بنطق .. انما هبت موقفا ... فقلت : لكم يوم معي طاب يذكر

وهنا – وقبل ان يهبط شاعر زحلة من المنبر – كما ذكر الرواة – أقبل رهط من شعرائها فبايعوه بامارة الشعر ، وتوجوه باكليل مـن الفضة ، حفر عليه البيت التالي :

جاهي بزحلة للبطولة ملعب ... وزها بتاج الشعر عرش اكبر

وكان مما قال أحمد رامي :

هنا – تحت ظل على الجدول ... يموج بفياضه السلسل
تغنى بهذا الجمال الفريد ... واثنى على حسنه الاكمل
وصور ما فيه من فتنة ... تداعب مقلة من يجتلى
سماء ترف بنشر الورود ... وواد يرد صدى البلبل
وصحب لهم في جمال الصفاء ... على ...... انس الحديث الطلى
هنا كان « شوقي » يطيل المقام ... ويانس للرفقة الكمل
ويسمعهم من اغاريده ... حديث العصافير للسنبل

ومما جاء في تحية الشاعرة العراقية لميعة عمارة :

وفيت زحل أميرك المجتبى ... نصبا يشاد ومربدا يرحب
هل مر طير عبر كرمتكم ... أم تفوه ، او عاد لم يطرب
يا غاويا أهوى على شفة ... كانت تعود عليه لو تصلب

هذه المظاهرة الفنية في موطن الشعر والشعراء ، المثيرة للمخيلات والملهمة اقلام الادباء ، بعثت في رأس الشيخ ذكريات مطوية لم تبـل مع الايام ، واعادته الى يوم قضاه بزحلة ، والى ايام عاشها مع ادبائها جليسا مستمتعا ، او قارئا مستطلعا .. كان ذلك يوم حج الى لبنان كاتب هذه السطور مطوفا ، دارسا ، مصطافا في فترة سادها الهـدوء والسلام قبل ان تهب عواصف الحرب العالمية الثانية وتشب حرائقها.. وقد مضى على ذلك زمن مديد تغيرت خلاله معالم الدنيـا وان بقيت الروح الفنية صامدة ، وصور الطبيعة رائعة خالـدة ، والتاريـخ الزاحف قدما لا يتوقف ..

وزحلة ايضا راسخة في مكانها ، وسط جبالها ووديانها وادغالهـا – عامرة تحتضن اليوم اكثر من عشرين الف نسمة ، تنمو وتزدهر على مر السنين ، وتلد اعلاما جددا وادباء مجددين – محتفظة باسمهـا العتيق الذي شغل الباحثين – قالوا انهـا تعني السفح المنزلق في بعض اللغات السامية .. او لوقوعها في طرف الوادي وانتمائها جانبـا فيه ، وقد قال العرب : « زحل او تزحل عن مكانـه اذا انتحى جانبا وابتعد .. ورجل زحل وزحلة أي المتنحى عن الامور ، او الرحال عـن قرب .. » – ومن قائل انها تنتسب الى كوكب زحل الذي يضرب بـه المثل في البعد والعلو ، وكان أهل تلك الناحية في القديم يكرمون هـذا الكوكب – وتلك اطلال هيكله الباقية فوق الاكمة الجنوبية المطلة على المدينة شاهدة على ذلك ..

اتيح لي ان ازحل يومذاك الـى جارة الوادي ، واطوف بـين منازلها ، واتمشى في دروبها ، وبـين احراشها ، وعلـى ضفـاف « بردونيها » والمدينة كما نعلم في مقدمة المزارات التي لا تفوت رؤيتها السائح بلبنان ، فهي بين مدنه وقراه من كبريات البلدان ..

يومئذ خرجنا من بيروت قاصدين زحلة في طريق ممهد معبد ، وان كان يجري حلزونيا متعرجا ، صاعدا هابطا ، شأن السيل المجتازة

الهضاب والوديان ــ في طول نحو الستين « كيلومتر » تقطعها السيارة في ساعة ونصف ساعة ــ مشرفا من كل جانب على الحقول الخضراء والسهول المنبسطة ، والوديان العميقة ، والجبال الشماء ، والروابي والمراعي والبساتين ، واحراش الحور والصفصاف .. ومزارع الكروم وبيادر الغلال ، واكواخ المزارعين والكرامين ، ومرافق الاهلين ــ لوحات فاتنات ، افتنت في صنعها الطبيعة ويد الانسان ..

خلفنا بيروت وراءنا جاثمة على سفوح تلالها ، تتلألأ في اشعة الشمس زاهية بأمجادها .. ودلفنا في طريق تكتنفه الحدائق والبساتين .. وما هو الا نصف ساعة حتى كنا نتجول في « عاليه » على علو تسعمائة متر .. ثم سرنا تحف بنا الهضاب والربى ، والوديان العميقة العامرة بالاشجار المورقة الخضراء ، والبيوت ذات السقوف الحمراء .. وبلغنا « صوفر » وطفنا بطرقها الفسيحة ، وفنادقها الفخمة ، ومتنزهاتها الانيقة .. وفي مسيرنا القينا من الاعالي نظرة على وادي حمانا وشاغوره ، واسترجعنا من البعد ذكرياته .. والسحب تهبط من القمم وترافقنا كأشباح متباينة . والهواء يهب عليلا بليلا . والطريق الاسفلتي الممهد ما يزال ممتدا امامنا تعكس مرآته الاشعة والظلال .. وفي مقهى ريفي يطل على سهل البقاع نقف قليلا لنحسو القهوة ونستريح ــ ثم نستأنف المرحلة .. وتعلو بنا السيارة وتهبط ، وتلف وتستقيم ، حتى نصل الى « زحلة » وقد قطعنا ما ينوف على الخمسين كيلو متر في سلام ..

هنا شيدت زحلة على مدرج من سفوح مرتفعين ينحدران الى واد عميق راقد في احضان التلال عند قدم الاطار الجبلي المحيط بسهل البقاع بلدة من كبريات المدن في وادي البقاع الخصيب و « اقضيته »: بعلبك والهرمل وراشيا وزحلة .. وتقوم زحلة في طرف واديها مرتفعة عن سطح البحر نحو تسعمائة متر ، وحولها الجبال من ثلاث جهات .. ويدعون قسمها الجنوبي الاكثر سكانا بالضيعة ، والشمالي بالقاطع .. ويشطرها نهر « البردوني » شطرين ، ويسقي أهلها وزرعها .. وهناك ينابيع قريبة ــ كالزيتوني ، وقاع فرين ، وعين حزير ، وعين عابد ..

ولنتجول قليلا في شوارع زحلة ودروبها وبعضها جميل مثل طريق المتنزه ، والبعض ضيق عتيق ، وتصادفنا كما في سائر المدن ابنية كبيرة واخرى صغيرة ــ وفنادق ومصارف ، وعدد من المدارس والمعاهد والكليات من كل صنف ، ومحطة للسكة الحديدية فيما بين بيروت ودمشق ، وحوانيت تحتفظ بطابعها الشرقي العربي العريق . وتلفت نظرك وفرة المساجد والكنائس ، وبعض تلك الكنائس اثري يتعبد فيه مختلف المذاهب ــ قيل لنا ان بزحلة اربع عشرة كنيسة وديرين ــ فاذا صعدت البصر الى المرتفعات شاهدت مغاور محفورة في الجبال ، كانت خلوات للزهاد والمتصوفة في أوائل عهد المسيحية هناك ــ وتدل هذه الوفرة من المعابد والمغارات على تعلق أهل تلك الناحية بالقيم الروحية منذ القديم ، كما كان من الغريب انهم لم يقفوا اثر المستعمر الاجنبي الذي غزا هذه البلاد في القرون الوسطى فيما دعي بالحملات الصليبية ، وترك طابعه المذهبي اللاتيني في كثير من الجهات ، بل بقي جل مسيحيي زحلة على مذاهب المسيحية الاولى في العصر البيزنطي ، ثم كان منهم رجال دين وسدنة للادب العربي ، سكن بعضهم بيروت او ارتحلوا فيما بعد الى المهاجر ..

كما كانت زحلة منطقة حصينة ، وكانت قلعة على الطريق الموصل بين البحر المتوسط وبين سورية مارا ببعلبك . ولم تكن قيمتها كقلعة لمجرد وقوعها على الطريق الحربي ، فان لها ميزتها النوعية وجبالها المنيعة الخاصة بها ..

وقد شكلت طبيعة البيئة والمناخ حياة هذا الاقليم الاقتصادية ، فهنا يجتمع الجبل والسهل والماء العذب ، وهنا الجو الجاف ، وقد يشتد هبوب الرياح أحيانا ، وقد يكون الهواء حارا في شهر يوليه وأوائل اغسطس (آب) ، ثم يعتدل ويطيب ، فيجذب المصطافين من الاماكن التي تعلو عنها الى واديها الاخضر وضفاف بردونيها .. كما يهرع الى الارباض الفنية بالحجل والارنب عدد من صائديها .. ويصعد الى القمم المكسوة بالجليد هواة التزحلق والرياضة ..

والى وفرة المراعي المعشوشبة يرجع النجاح في تجارة الاغنام واصوافها .. كذلك يصدر اليها جانب من غلال البقاع لقربها من قضائي المتن وكسروان ، ولتوسطها بين بيروت ودمشق .. ثم أملت البيئة الطبيعية مشيئتها فكان هذا الفيض من اغراس الكروم والاعناب ، وذلك التفوق في اصناف العنب ــ ومنه ما يحمل القابا مثل « عنب الامير » و « خدود البنات » وما اشبه ــ وتبعت ذلك كثرة المعاصر ومصانع التقطير ، وتوفر منتجات الكروم والعصير ، ومن ورائها الايدي العاملة من مهرة الكرامين والخبراء .. واشتهرت قرية « شتورة » القريبة بكرومها ، ونشأت في منطقة « كسارة » مصانع مستخرجات العنب ..

أما نهرها « البردوني » او « البردين » ــ الذي يعتز به أهلها ويرون فيه الاخ الاصغر لبردى دمشق ، فينبع من اعالي « صنين » احد جبال لبنان ــ الشامخ الى اكثر من ثمانية آلاف قدم ــ والمشرف على زحلة وبسكنتا ، وقد ذكره سترابون في القرن الاول قبل الميلاد باسم « سنان » وما زال يعلوه طلل من بناء مرتفع لعله من آثار الفينيقيين ، وهناك يخرج البردوني من مضيق مغشى بالاشجار يصعد اليه من زحلة هواة التسلق .. ثم يجري متدفقا بين الصخور الشاهقة المخضرة مستقيما تارة ومتعرجا اخرى ، متخللا الرياض والبساتين ، مارا بقرية « زحرته » ومتنزهاتها .. ويتكسر ماؤه الزلال على الحصى البيضاء صافيا باردا .. ثم يدخل زحلة فيما بين الجبلين ، ويشق البلدة من الغرب الى الشرق ، ويدلف الى وادي العرائش (او العرائس) .. وبعد ان يسقي أهل زحلة واراضي « المعلقة » ونبات الوادي واغراسه ، يصب في نهر الليطاني السائر الى البحر .

وفي وادي العرائش ، وعلى ضفاف البردوني يمضي الجالس تحت خمائل المقهى وفي ظلال الصفصاف والزيتون ، لحظات هنيئة مع رفاقه او ذكرياته ، في جو معبق بشميم الرياحين والحان المذياع ، وقد يضعون لك مائدتك في قناة تنساب فيها مياه النبع الرائقة ذات الخرير اللطيف ، لتطعم من « كبيبة » لبنان وتشرب من عصير زحلة ويذكرك هذا وذاك بما نظمه شوقي في وصف هذه البقاع ..

وكانت صلة شوقي بزحلة وتغزله بواديها وبردونيها حيث اقيم اليوم تمثاله ، شطرا من صلته بلبنان وأهله جميعا .. وكان رحمه الله مولعا بزيارة القطر الشقيق للتنزه والاصطياف ، ولقاء الخلان الادباء الذين يبادلونه التقدير والحفاوة . وتكررت رحلاته هذه وبخاصة خلال العشرينيات والثلاثينيات من هذا القرن ــ الى ما قبل وفاته في اكتوبر ١٩٣٢ ــ وكان يصحبه فيها أحيانا صديقه الفنان محمد عبد الوهاب ، وحينا كاتم سره أحمد ابو العز ، وما زالا يرويان بعض تلك الذكريات عن مجالسه وصحبته ونوادره فيما نراه اليوم منشورا في كتب واحاديث عن سيرة شوقي او عن حياة عبد الوهاب (٢) ــ بينما كان شوقي يصور انطباعاته والهاماته في قصائد شعرية بديعة ضمنها بعد ذلك دواوينه : « الشوقيات » المطبوعة في عدة اجزاء ــ وبينها قصائده عن لبنان وجناته ، ووادي زحلة وذكرياته ــ ومن ذلك قصيدته: « لبنان » حيث يقول : (٣)

لبنان والخلد ، اختراع الله لم ... يوسم بأزين منهما ملكوته

---

٢ ــ من ذلك كتاب « اثني عشر عاما في صحبة أمير الشعراء » لاحمد ابو العز ــ ١٩٣٢ ــ و « محمد عبد الوهاب » لمحمود عوض ــ سلسلة اقرأ ــ ابريل ١٩٧١ .

٣ ــ الشوقيات جـ١ ص ١٩٦ ط ١٩٢٥ « نكبة بيروت » ــ و جـ٢ ص ١٨٧ ط ١٩٣٩ ــ « لبنان » ــ وجـ٣ ص ١٨٥ ط ١٩٣٦ « نعي سعد زغلول » ــ وجـ٢ ص ٢٢٤ ط ١٩٣٩ ــ « زحلة » .

وقصيدته عن « نكبة بيروت » اثر اعتــداء الاسطول البريطانــي عليهــا :

بيروت يــا راح النزيـل وأنسه　　يمضي الزمان علــى لا أسلـوك
لك في ربى النيل المبارك جـيرة　　لــو يقدرون بدمعهــم غسلوك

وكان شوقي مقيما بزحلة ـ صيف ١٩٢٧ ـ وجاءه نعي الزعيم سعد زغلول ، المتوفي بالقاهرة يوم ٢٣ من اغسطس ذلك العام ، فنظم مرثية باكية جاء فيها :

سائلــوا زحلــة عـن اعراسها　　هل مشى الناعي عليهــا فمحاها
عطــل المصطاف مـن سماره　　وجـلا عـن ضفة الوادي دماها
فتــح الاواب ليلا ديرهــا　　والــى الناقوس قامت بيعتاها
صدع البــرق الدجــى تنشره　　أرض سوريا وتطويــه سماهــا
يحمــل الانبــاء تسرى موهنــا　　كموادي الثكل في حــر سراها
عرض الشــك لهــا فاضطربت　　نطأ الآذان همسا والشفاهــا
قلت : يا قوم اجمعوا احلامكــم　　كــل نفس فــي وريديها رداهــا

وتضمنت « زحلاوية » شوقي المشهورة ، والتي غنى عبد الوهاب بعض ابياتها ورددها الناس معه ، وصفا شائقــا لجداولها ورباهــا وكرومها ووشيها ، مما يذكر بجنات عدن ولبنها وخمرها :

يــا جارة الوادي طربت وعادني　　ما يشبه الاحلام مــن ذكــراك
مثلت في الذكرى هواك وفي الكرى　　والذكريات صدى السنين الحاكي
بنت البقــاع وأم بردونيهــا　　طيبي كجلق واسكبي بــرداك
ودمشق جنــات النعيم وانمــا　　ألفيت سدة عدتهــن ربــاك
قسما لو انتمت الجداول والربا　　لتهلل الفردوس ثــم نماك
مرآك مــرآه وعينــك عينــه　　لم يا « زحيلة » لا يكــون أبــاك
تلك الكروم بقيــة مــن بابــل　　هيهات نسى البابلــي جنــاك
تبدي كوشي الفرس افتن صبغــة　　للناظرين الــى الــذ حيــاك
خرزات مسك او عقود الكهربــا　　أودعــن كافــورا مــن الاسلاك
فكرت في لبن الجنان وخمرها　　لمــا رأيت المــاء مس طــلاك

وفي لوحة فنية يصور عشية قضاهــا هنــاك وقــد بدت زحلة كالعروس يجلوها لبنان والطبيعة جميعا :

لم أنس مــن هبة الزمان عشية　　سلفت بظلــك وانقضت بــذراك
كنت العروس على منصة جنحهــا　　لبنان في الوشي الكريــم جلاك
يمشي اليك اللحظ في الديباج او　　في العاج ، من أي الشعاب أتاك
ضمت ذراعيهــا الطبيعــة رقــة　　«صنين» و « الحرمون» فاحتضناك
والبدر في كبج السماء منــور　　سالت حلاه على الثرى وحــلاك
والنيرات مــن السحاب مطلــة　　كالغيد من ستر ، ومــن شباك
سكنت نواحي الليل الا أنــة　　في الايك او وترا شجي حــراك

ثم يحيي شوقي ادباء زحلة وشعراءها ، وهي الحرية بانجــاب شموس الشعر والقلم :

شرفا عروس الارز ـ كل خريــدة　　تحت السماء مــن البلاد فــداك
ركــز البيان علــى ذراك لواءه　　ومشى ملوك الشعر في مغنــاك
أدباؤك الزهر الشموش ولا أرى　　أرضا تمخض بالشمــوس سواك
من كل أروع علمــه فــي شعره　　ويراعــه مــن خلقــه بمــلاك
جمع القصائد مــن رباك ، وربما　　سرق الشمائل من نسيم صبــاك

ويختم شوقي قصيدته مقدرا تكريم زحلة شعره ، فهي الخيــال البديع وقد صاغها الله وخلدها الزمان :

أحللت شعري منك في عليا الذرا　　وجمعتــه بروايــة الامــلاك
ان تكرمي يا زحل شعــري انني　　أنكــرت كــل قصيــدة الاك
أنت الخيــال بديعــه وغريبــه　　اللــه صاغــك والزمــان رواك

وفي معرض اللوحات الشعرية التي اختص بهــا شوقي المحاسن اللبنانية ، نعثر على صورة منزوية في اغنية حلوة رسمها لوادي حمانا وشاغوره ، واهداها الى القصاص المرحوم محمود طاهر حقي عندمــا طلب اليه تقديم روايته الرومانسية : « غادة حمانا » ، المنشورة عــام ١٩٣٠ وكان مؤلفها قد زار لبنان وسحرته حياته فالهمته هذه القصة ، حيث تخيل لقاء فحبا بين شاب جاء من مصر للاصطياف ، وبين حسناء من أسرة قديمة بزحلة زعم ان رأسها زعيم زحلــة الوطني « الشيــخ طانيوس » ثم يؤدي هذا الحب الى الزواج .. وكان مسرح اللقاء فيما بين رياض زحلة وبردونيها ، وبين حمانــا وشاغورها .. وفي احــدى المرات يسمعنا المؤلف صوت « سلمى » بطلة القصة ، وهــي ترنــم نشيد زحلة الشعبي :

زحلــة يــا دار الســلام　　فيــك مربــى الاســوده
علــى الضيــم واللــه مــا ننــام　　المــوت ببــوز البــاروده

اما اغنية شوقي التي تصدرت القصة فمطلعها :

دع الابــرق والبانــا　　وخــذ وادي حمانــا
هو الفردوس قــد قام　　به « الشاغور » رضوانا
اذا استرسل أو شف　　رأيت الحسن عريانــا
تراه في الضحى ماسا　　وفي الآصال عقيانــا
وطير العشق لا يأوى　　سوى الشاغور بستانــا
فما حلــق او صفق　　الا اصطاد انسانــا
يحس القلب للقلــب　　صبابــات واشجانــا

وعلى مقربة من زحلة بعض القرى والمدن الخضراء ذات المحاسن الطبيعية ، وتعد من ضواحيها وامتداد لعمرانها منها « المعلقة » التي لا يفصلها عن زحلة سوى سلسلة صخرية صغيرة غربا ، وغياض كثيفــة جنوبا .. وتجري اليها مياه زحلة فتروى بساتينها الواسعــة ويسكنها اكثر من الفي نسمة . وكانت هذه القرية في عهد الاتراك قصبة البقاع، ثم ضمت الى مدينة زحلة عند تشكيل دولة لبنان الكبير ..

والى جنوب غربي زحلة تعلو بلدة « شتورة » نحو تسعمائة متر ، وعلى مسافة قريبة منها ينبع نهير عذب الماء يسقي ما حولها من ارض يانعة الخضرة ، جيدة الكروم ، وغابة صغيرة من الاشجار المثمرة .. وموقعها عند ملتقى الطــرق من بيروت ودمشق وبعلبــك وجديــدة ومرجعيون ، وعندها تتفرع الطرق الى اربعة اتجاهات : طريق يؤدي الى فلسطين من سهل البقاع مارا بمشغرة والقرعون فبنت جبيــل فمنطقة الحاصباني .. وطريق ثان يصل الى بيروت مارا بعين صوفــر وبحمدون .. وثالث الى بعلبك فنقطة الحدود السورية .. ورابــع ينتهي عند زحلة .

وفي زاوية على طريق « قب الياس » تقع قرية النبي الياس علــى رأس هضبة مكسوة بالكروم .. وغير بعيد ايضا قرية « فيما » وبهــا آثار هيكل قديم « لجوبيتر » ـ المشتري ـ وندعها لنسير بجوار هضاب تغطيها اشجار اللوز والتين والعنب .. ثم نعبر نهر الليطاني ، ونقترب من بعض القرى ونبتعد عن أخرى ، ونشق سهل البقــاع حتــى ندخل مدينة التاريخ والآثار ـ بعلبك ـ الرابضة بين الحور والتين والجوز ، ولها حديث آخر ...

ولم تحرم زحلة الشاعرة وما يجاورها من بقاع ـ كسائر المــدن القديمة ـ من « فولكلور » واساطير وحكايات ـ تبتدعها بنات الافكــار والمخيلات ـ فهناك في السهل القريب من هذه البلدة ، فــوق أطلال حصن الكرك القديم ، يرى الزائر قبرا طويلا يجاور مسجدا صغيرا ، يسميه الناس هناك « قبر نوح » . وتنص الروايــة علــى ان سيدنا « نوح » وقد عمر طويلا بعد حادث الطوفان ، دفــن في هــذا المكان القريب من زحلة ـ وانه كان مديد القامة جدا كما يــدل عليه طــول ضريحه .. وكتب سائح اسمه « لودولف دي سوخن » من اهل القرن الرابع عشر الميلادي ، ان سهل البقاع يسمى « سهل نوح » ..

ويذكر ميخائيل موسى الوف البعلبكي في كتابه : « تاريخ بعلبك » فيما نقل عن مزاعم الرواة : (٤) « انه لكيلو مترين من مقابلة قريــة « الفرزل » يوجد كرك نوح ، قرب زحلة ، قرية عــن يمين الطريــق

---

٤ ـ تاريخ بعلبك ـ لالوف ـ ط٤ ـ ١٩٢٦ ص ٤٧ ـ ٤٩ .

يبلغ عدد سكانها الاربعمائة ـ (عام ١٩٢٦) ـ فيها معبد قديم يزعم اهلها انه قبر نوح . ويقولون ان نوحا عليه السلام سكن بعد الطوفان مع اولاده سهل البقاع وبعلبك ، ومات في الكرك ودفن فيها . وطول قبره يبلغ الاربعين ذراعا ، لان نوحا كان على زعمهم طويل القامة جدا. وذهب البعض الى ان قال ليس في القبر الا ساقيه ، وانه كان اذا مشى وصل بساقيه الجبلين !. »

قال : « وقد زار هذا القبر بيبرس البندقداري عند اعتلائه العرش سنة ١٢٥٨م ، وقال آخرون بل هو مشيده .. وقالوا ان تيمورلنك حين خرج من دمشق عرج على قبر نوح للتبرك به .. ومن الكتابات الرومانية التي وجدت عليه يعلم انه كان حصنا بناه الرومان .. »

ويبدو ان هذه الحكاية شطر من الرواية المتواترة التي افترضت ان هذه المنطقة الشاملة دمشق وبعلبك وزحلة ، كانت المسرح الذي مثل عليه جدنا آدم وبنوه ادوارهم منذ خروج آدم وحواء من الفردوس فسكن آدم دمشق ، ونشأ بنوه فيما يجاور بعلبك ، وقتل قايين أخاه هابيل في كورة « ابيلين » وهي سوق وادي بردى .. وهناك على حافة هاوية عالية فوق وادي بردى في الطريق الى مصيف الزبداني يرى القبر الذي دفن فيه هابيل بن آدم .. بينما دفن آدم في الزبداني ، وشيت بناحية « النبي شيت » قرب بعلبك ، وحام في قرية بالجبل الشرقي على أربع ساعات من بعلبك .. ثم الحد نوح ـ كما سلف ـ في الكرك قرب زحلة !.

ثم يضيف خيال آخر ان قايين بن آدم بعد ان فرغ من قتل اخيه، شيد قلعة بعلبك ليحمي نفسه من اعدائه !. وعارضه آخر بالقول ان مؤسس بعلبك هو الملك « نمرود » الذي تسلطن على لبنان ايام سيدنا ابراهيم الذي أنذره بغضب الله ان لم يكف عن عبادة الاصنام فطرحه نمرود في النار ولكنه خرج منها سالما ..!

وجاء آخر فحدد موقع جنة عدن في زحلة ، « فان السيد بلنشيه اليسوعي سمع السيد اغناطيوس العجوري مطران زحلة يقول : ان ابروشية زحلة تسمى « ابروشية الفردوس » لان بعض التقاليد القديمة تعين موقع الفردوس الارضي في هذا المكان ! » (٥)

بينما كانت هناك شعوب اخرى كالايرانيين والارمن وجيرانهم يقولون ان سفينة نوح رست عند قمة جبل « ارارات » او جبل نوح كما يسمونه . وانه يقع في الجزء الشمالي من كردستان القديمة ما يسمى « وادي الشيطان » ويشرف عليه جبل ارارات ، وتدور حول هذا الوادي قصص واساطير منها ان اول شجرة كرم في العالم نبتت على هذا الجبل !.

اما كتاب العهد القديم او « التوراة » فينص على ان جنة عدن كان يخرج منها نهر ليسقيها ، ومن هناك ينقسم الى اربعة رؤوس هي: فيشون وجيحون وحواقل والفرات .. وان قايين بعد ان قتل أخاه هابيل سكن ارض « نود » شرقي جنة عدن .. (تكوين ٢ : ١٠ ـ و ٤ : ١٦) .

ومما يرويه القزويني في كتابه : « آثار البلاد » ان في قرية « النبي الياس » ـ حيث ديره ومزاره قبالة قرية « ابلح» في الجبل ـ « هناك اخزى ذلك النبي كهنة الاصنام ، ورأى غمامة صغيرة شبه ترس ، وصعد على فرس من نار . ولم تعرف بعد ذلك اخباره » .

يقول ميخائيل الوف في كتابه : « تاريخ بعلبك » : « وليس لزحلة تاريخ ولا وعت آثارا ، فهي حديثة نزح اليها الناس ليتقوا بصخورها ومنعة موقعها شر الظلمة من آل حرفوش ، ولم تذكر الا في القرن الثامن الميلادي » وهو فيما يبدو يقصد زحلة المعاصرة، فالمعروف ان تاريخ هذه المنطقة تمتد جذوره الى ألوف السنين ، وقد زالت معظم آثارها واخبارها وحلت مكانها الاساطير والحكايات ، وكانت هناك محاولات في شتى اللغات للغوص في اعماق هذا التاريخ ، فظهر الكثير من المؤلفات في تاريخ لبنان عامة وفي تاريخ كل مدينة قديمة على حدة ، ومن هذا النوع الاخير كتاب عيسى المعلوف عن : « تاريخ مدينة زحلة » ..

ولزحلة كما لسائر المدن العتيقة ، اعلامها في شتى الميادين . ولا يذكرها المشتغلون بالادبيات والمعالجون لادب الرحلات ، حتى يمثل امامهم ذلك الموكب الحافل من الباحثين والمؤرخين ، والشعراء والصحفيين ، ممن ينتمون اليها بالمولد والنشأة ، او النسب او الاقامة ، ومنهم « آل المعلوف » الذين ترعرعت شجرتهم في واديها ، وامتدت الى الشرق والغرب فروعها ، وقد ارخ لها زحلاوي كبير هو الشيخ عيسى اسكندر المعلوف في كتابه : « دواني القطوف في سيرة بني المعلوف » .. ثم ظهرت ثمرات جديدة في هذه الدوحة أشاد بها كتاب آخرون ..

وتعثر اليوم في قاموس « المنجد » الذي وضع اساسه ابن زحلة « الاب لويس المعلوف » ـ على ذكر الشيخ ناصيف المعلوف ـ المولود في زبوغة بلبنان عام ١٨٢٣ والمتوفي في أزمير سنة ١٨٦٥ « وكان استاذا للغات الشرقية ، وعضوا بالجمعية الاسيوية في باريس ، ووضع تآليفه بالعربية والتركية والفارسية والفرنسية منها معجم بالفرنسية والتركية » .

والمعروف ان الاب لويس المعلوف المولود في زحلة عام ١٨٦٧ والمتوفي عام ١٩٤٦ كان من علماء العربية واعلام النهضة الحديثة، تعلم في بيروت واوروبا ، وحرر جريدة « البشير » مدة ثلاثين سنة ، وجمع قاموس « المنجد » ، معجم عربي مدرسي ظهر عام ١٩٠٨ ، ثم توالت طبعاته مزيدة مجددة بلغت اليوم نحو عشرين طبعة ، والحق به قسم لاعلام الشرق والغرب ..

وامضى الباحث الاديب الشيخ عيسى اسكندر المعلوف حياته مكبا على التأليف والتصنيف ، وانشأ بزحلة عام ١٩١١ مجلة « الآثار » نشرت بها الاقلام العربية شتى الابحاث والمقالات.. كما اصدر صحيفتي « المهذب » و « الشرقية » . وله احاديث عن الصحافة العربية بمجلة « النعمة » بدمشق عام ١٩١٠ ، ومباحث تاريخية وادبية في مجلات البيان ، والضياء ، والمقتطف ، والهلال ، والمقتبس ، والمنار ، والزهور والاديب .. وخلف من المؤلفات التاريخية : « تاريخ مدينة زحلة » و « تاريخ الاسر الشرقية » ، ومن كتب التراجم : « مفاوض الدرر في ادباء القرن التاسع عشر » و « سيرة بني المعلوف » .. ومن المصنفات الادبية : « الكتابة واسرار البيان » و « الطرق الادبية في تاريخ اللغة العربية » و « العصريات » و « قطوف الفوائد في رياض الجرائد » وديوان شعري مطبوع سماه : « بنات الافكار » يضم بضعة ألوف من الابيات المنظومة على طريقة عصره .. ويذكر ان له موضوعات تاريخية ولغوية وادبية لم تجمع او تنشر .. وكانت وفاته عام ١٩٥٦ ، ووضع عنه الكاتب الراحل يعقوب العودات « البدوي الملثم » دراسة ظهرت بالقاهرة منذ عهد قريب ..

وانجب العالم الاديب عيسى اسكندر المعلوف من الابناء ثلاثة من الشعراء الموهوبين هم : المرحوم فوزي المعلوف ، وشفيق المعلوف ، ورياض المعلوف ، وقد تحدث عنهم الكثيرون من النقاد والمؤرخين لادب المهجر .. وقبل ان نعود اليهم في ايجاز يفرضه ضيق المقام ، ينقلنا تداعي المعاني الى وادي زحلة خلال الثمانينيات من القرن التاسع عشر حيث نرى صبيا يدرج في طرق زحلة ، ويلهو بين بساتينها ، ويتعلم في مدارسها معاصرا آنذاك اديبها عيسى المعلوف في فجر شبابه ، ولعل قلة من الزحلاويين كانت تتوقع ان يصبح هذا الغلام واحدا من فحول الشعراء المحدثين في الشرق العربي جميعا ..

---

٥ ـ « تاريخ لبنان » للاب مارتن اليسوعي ـ الترجمة العربية ـ و « يوميات لبنان » لداود ارجهارت ـ و « مذكرات دارفييه » بالفرنسية .

كان هذا الصبي ـ خليل مطران ـ المولود في بعلبك عام ١٨٧٢ قد انتقل الى جارته زحلة ليتلقى تعليمه الابتدائي في احدى مدارسها، وكان صفاء الصبا وصحوة الشاعر وروقة المكان ، تنعكس جميعا على عدسة حواسه ، وتنطبع على شفوف ذاكرته ، فترسخ الصور في قلبه ، وتتجلى امامه في كهولته فيقول :

في زحلة مولدي بالروح لا البدن   وزحلة رضى من أهلها وطني
ان يفتتن بهواها من يلم بها   فانني بهواها أي مفتتن
في زحلة لي عهد من صبا وهوى   في زحلة أسرتي في زحلة سكني
تمل روعة واديها البديع وما   هناك من متع للعين والاذن
ترو من مائها الجاري واصغ الى   حديثه بأفانين من اللسن
يجلو ويملأ صدر الحي عافية   وليس بالرتق الجاني ولا الامسن
أبناء زحلة آساد غطارفة   فيها ـ وفي كل ما حلوا من المدن

ويحكي لنا الاديب الراحل طاهر الطناحي في احد فصول كتابه : « حياة مطران » (٦) عن صبا الخليل بزحلة ، وكان الى ما تركته في نفسه مؤثرات هذا المكان البهيج ، ان مرت به يومذاك تجربة حبه الاول الذي ظل قلبه متفتحا بعده للحب وملهماته .. لقد كان يلهو ذات صباح في رياض زحلة مع رفيقة طفولته « نجلاء الصباغ» واذا بالوصيفة « نبيهة » تقبل ومعها صبية حلوة مرحة ما لبثت ان فتنت شاعرنا الصغير فشغل بها عن نجلاء ، واقبل عليها يضاحكها وتضاحكه ثم يصنع لها من الصلصال شبه عصفور فتطير به فرحا .. ولم ينس الخليل بعد طوال السنين ذلك اللقاء وهذا الحب العابر ، فقد حدث ابان شيخوخته ان زارت السيدة نجلاء الصباغ مدينة القاهرة ، فأقام لها بعض الادباء حفلة تكريم ووقف الخليل منشدا قصيدة طويلة جعل عنوانها : « هل تذكرين ؟ »

هل تذكرين ونحن طفلان   عهدا بزحلة ذكره غنم
اذ يلتقي في الكرم ظلان   يتضاحكان ويأنس الكرم
هل تذكرين بلاءنا الحسنا   حين اقتطاف أطايب العنب
نعطي ابتسامات بها ثمنا   وبنا كنشوتها من الطرب

ثم ينتقل الى حادث حبه لتلك الصبية الصغيرة :

ما أنس لا أنس العقيق وقد   جزناه بعد السيل نفترج
كان الربيع وكان يوم أحد   ومسيرنا ممهج المدرج
و « نبيهة » الكبرى ترافقنا   مجهودة ضجت من التعب
ولها « صويحبة » ترافقها   رقاصة كالغصن في الوادى
كرارة كنسيمة السحر   ثرثارة كالطائر الشادى

.. الى آخر القصة ...

اما ابناء عيسى المعلوف الشعراء الثلاثة الذين انتقلت شهرتهم الادبية من مهجرهم الجنوبي ـ البرازيل ـ الى شتى الاقطار العربية ، فقد ولد اكبرهم « فوزي المعلوف » بزحلة عام ١٨٩٩ ونشأ بين أسرة عربية قديمة ، تتطلع الى العيش في جو ثقافي حضاري مع ما كان يكتنفها من ظروف قاسية فرضها الحكم التركي .. كما شب في رعاية أبيه الاديب وصحبة مكتبته ، فتفرعت مواهبه الادبية واخذ يكتب منذ صباه المقالات وينظم الشعر وعندما بلغ الثانية والعشرين من عمره عام ١٩٢١ شد الرحال الى سان باولو بالبرازيل ومعه انطباعات بيئته الاولى ومؤثرات نشأته وبذور مواهبه ، ما لم يستطع فراقها طوال سني مهجره .. وفي غمرة اعماله التجارية والمالية ، وادارة مصنع الحرير مع اشقائه ، ووسط تيار الثراء والجاه ، وامواج المحيط الصاخب الجديد ، كان يستبد به الحنين الى الوطن والاهل :

قسما بأهلي لم افارق عن رضى
أهلي ـ وهم ذخري وركن عمادي
لكن أنفت بأن أعيش بموطني
عبدا ـ وكنت به من الاسياد

ويحس بوطأة المشاغل المادية تلهيه عن رسالته الاصيلة ـ الادب والشعر ـ « حتام نيرك مشدود الى عنقي ، القيه عني من آن الى آن ؟ » ، وآنذاك يفر من جفاف الواقع ومرارته الى واحة الشعر حيث آماله وآلامه ، ومثله واحلامه في عقود ضمنتها ملاحمه وقصائده : « على بساط الريح » و « شعلة العذاب » و « سقوط غرناطة » و « تأوهات الحب » ، وما حواه « ديوان فوزي المعلوف » .. ولم تكن غير سنوات تسع قضاها هذا الشاعر المحلق في مهجره الجنوبي ، أجاد خلالها اللغتين البرتغالية والفرنسية ، واطلع فيهما وفي لغته العربية على آداب الامم ، ونظم تلك الوفرة من قصائد الشعر العاطفي والتأملي والغنائي ، في الطبيعة والانسان ، والحب والحنين ، والموت والخلود ، والحرية والانعتاق ، وفي صراع الروح والجسد ، والمثالية والعبودية ، والتطور والجمود الى ان انتقل عام ١٩٣٠ في زهرة العمر الى عالم الروح الذي صعد اليه من قبل على بساط الريح في خيال ملحمته ويومئذ تلقف القراء والكتاب تراثه الشعري ، وظهرت المؤلفات عن حياته وأدبه ، ونشرت الدراسات النقدية عن شعره وفنه ، وترجمت مطولاته الى لغات اجنبية .. (٧)

وهاجر شقيقه الشاعر شفيق المعلوف المولود عام ١٩٠٥ الى سان باولو بالبرازيل ايضا ـ واشتغل هناك مع أخيه بالتجارة والصناعة ـ وبدأ ينظم الشعر باكرا ورأينا له عام ١٩٣٢ قصيدة « خرائب بعلبك » بمجلة « أبولو » بالقاهرة ، وفيها يقول :

الله اكبر كيف كان حالها   آكام مجد هذه أطلالها
ربضت على صدر الزمان واوثقت   كلتا يديه فحار كيف ينالها

ثم تتالت منظوماته ومنثوراته ـ ونشرت ملحمته « عبقر » في طبعتها الرابعة بسان باولو ١٩٤٩ ـ ومطولة « الاحلام » ، و « نداء المجاديف » ، و « لكل زهرة عبير » .. ومختارات قصائده في « سنابل راعوث » (بيروت ١٩٦١) ، وكتابه النثري في الادب والنقد : « حبات زمرد » ..

ورأيناه يصور حنينه الى بلدته زحلة ويناجيها في قصيدة رقيقة جاء بها :

سائل زحيلة لا جفت دواليها   أي العناقيد لم يعصر لنا فيها
نرقى الروابي والاكباد ظامئة   لا نشرب الماء الا من اعاليها
يا للينابيع هل تحيي لنا ذكرا   الا اذا استرجعت يوما سواقيها
يا غصة العائد الحيران هل قبس   يشق دربا لخطواتي فيهديها
فلا المنازل قلبي بعد يعرفها   ولا الكروم التي كنا نفاديها
الله للمنزل المهجور أنشده   مسترجعا صورا فيه أناجيها
جدرانه هذه أهوت معانقة   على أديم الثرى آمال بانيها
فاغنياتي بلا فيء يظللها   وذكرياتي بلا مأوى يؤويها

ويرثي شفيق شقيقه فوزي في حفلة ازاحة الستار عن تمثاله :

فوزي وما لي في الخطوب يدان   ما هكذا الاخوان يلتقيان
قربت صدري للعناق فلم أقع   الا على قطع من الصوان
نصب خفضت له الجفون كأنما   نصبت حجارته على اجفاني

ولقد انصف الكتاب شفيق المعلوف ، قدر ما انصفوا أخاه فوزي فتناولوا شعره بالدراسات النقدية والتحليلية ، ووازنوا بخاصة بين رحلة الاول الخيالية في مطولته الاسطورية « عبقر » ، وبين رحلة الثاني في ملحمته « بساط الريح » ورأوا ان الاولى تكمل الثانية ، وتضارعها في سمو الخيال المحلق ، والطاقة على الوصف والتصوير ، وتقدير القيم الانسانية ، وارتباط الانسان بالمجتمع البشري ، وبالكون ،

---

٦ ـ حياة مطران ـ لطاهر الطناحي ـ القاهرة ١٩٦٥ ص ٢٥-٣١

٧ ـ انظر كتاب « شاعر الطيارة فوزي المعلوف » « ليعقوب العودات » ـ القاهرة ١٩٥٣ ـ وكتاب « فوزي المعلوف ـ سيرته وأدبه وفنه » لصموئيل عبد الشهيد ـ بيروت ١٩٧١ ـ ودراسة عن شعره بكتاب : « الشعر العربي في المهجر » لعبد الغني حسن ، و « التجديد في شعر المهجر » لانسي داود ١٩٦٧ .

بالله قولي

بالله قولي اي متى نلتقي
هناك ... في الدرب على المفرق
تدثري بثوبك المشتهى
كالضمة البيضاء من زنبق
زناره من مخمل ضاحك
طوقه كالخاتم الضيق
والخصر ليت الخصر في قبضتي
اشده نحوي ولا اتقي
ان كنت لا تدرين ما لوعتي
فحدقي في أعيني ... حدقي

زحلة – لبنان   رياض معلوف

والايمان بتطور الانسان وتقدمه .

وترجم شفيق المعلوف عددا من القصائد البرتغالية الى العربية ، ومنها اسطورة برتغالية شائعة تسمى « يارا » ، ترجمة تدل على تضلعه في اللغتين .. (٨)

اما الشقيق الثالث رياض المعلوف – الشاعر المهجري في البرازيل – فينظم الشعر بالعربية والفرنسية ، وله في كليهما القصائد والدواوين ، واشتهر من شعره العربي : « الاوتار المتقطعة » و « خيالات » و « زورق العباب » ، وكان من الاعضاء البارزين في « العصبة الاندلسية » التي الفها ادباء المهجر الجنوبي ، كما دعى في سبتمبر ١٩٦٨ لحضور مؤتمر الشعر الدولي المنعقد في بلجيكا عامذاك لتفوق شعره الفرنسي .. ولم ينقطع حنينه الى وطنه كسائر شعراء المهجر :

كم سحت في المعمور ما غرني منظر
فبلدي المهجور وكوخي الاخضر
أحلى من القصور والذهب الاصفر

ثم هناك قيصر المعلوف – خال الشعراء المعالفة فوزي وشفيق ورياض – وهو أيضا شاعر لبناني رحل في شبابه الى سان باولو بالبرازيل حيث انشأ مع أخيه جميل المعلوف « جريدة البرازيل » عام ١٩٠٣ ، وطبع في المهجر ديوانه « تذكار مهاجر » ، اول ديوان طبع في المهاجر الامريكية كما قيل ، ثم عاد الى لبنان قبل نشوب الحرب العالمية الاولى وله اغنيات من شعر الشباب مثل اغنية : « الى منتهى » ومطلعها :

هيفاء في نظراتها – عزم له صبري وهى
ساءلتها عن اسمها – قالت بغنج « منتهى »
قلت الفتوة والانوثة قد ضممت مع البها ..

وكان مولعا بالجناس اللفظي والتورية في منظوماته ، في حين كان اخوه جميل ميالا الى مراسلة الادباء ومنهم جبران خليل جبران ..

.. الى المهجر الجنوبي ارتحل الكثيرون من ادباء زحلة وغيرها – الى البرازيل وشيلي والارجنتين وسائر اقطار امريكا الجنوبية – كما هاجرت جموع عربية اخرى الى امريكا الشمالية – كان هذا منذ اواخر القرن التاسع عشر ، يشتغل معظمهم بالتجارة والصناعة مكافحين – وان كانت النزعة الادبية المتوارثة لم تفارقهم ، والعيش غرباء بعروبتهم ولغتهم وتقاليدهم في حنين دائم الى الوطن الاول ، قبل ان يأتي جيل الاحفاد فيتحدث بالبرتغالية والاسبانية في الجنوب ، ويضع بعضهم فيهما المؤلفات الادبية ودواوين الشعر ، وفي الانجليزية في الشمال .. وهناك رأينا بعضهم يصدر الصحف والمجلات العربية ، والبعض دواوين الشعر وكتب النثر ..

وكما سمعنا عن « الرابطة القلمية » في المهجر الشمالي ، سمعنا في الجنوب عن « رواق المعري » وكان من اعضائها قيصر ووديع المعلوف ، ونعوم لبكي وفارس نجم وغيرهم .. ثم عن « العصبة الاندلسية » وكانت تضم رياض وشفيق وميشال المعلوف ، ورشيد سليم الخوري ، والياس فرحات ، وقيصر الخوري ، وشكر الله الجر صاحب فكرتها .. وآخرين ...

ولقد شهدت البرازيل بخاصة – منذ اوائل القرن العشرين – موكبا من الشعراء العرب المهاجرين – كانوا يكونون مع ادباء زحلة مجتمعا ادبيا مشهودا – هاجر اليها الياس فرحات عام ١٩١٠ ورشيد سليم الخوري ١٩١٣ ونظير زيتون ١٩١٤ ولحق بهم امين الفريب ١٩٤٥ ، وشكر الله الجر وشقيقه عقل الجر ... وعشرات غيرهم .. (٩)

.. وقد لمع من ابناء زحلة الادباء في المهجر الامريكي الجنوبي – الشاعر جان زلاقط – صاحب ديوان « حنين » المولود بزحلة عام ١٩١٢ والمهاجر الى تشيلي عام ١٩٣٠ ثم عاد بعد سنتين الى لبنان املا في دراسة المحاماة ، ولكنه انصرف الى التجارة وعاد الى شيلي عام ١٩٣٩ مزودا بمؤثرات وطنه العربي واتخذ من سنتياجو مقاما له ولاسرته وتجارته ، وان كان الحنين الى بلاده يدفعه دائما الى التردد على الاوطان فزار الاقطار العربية ثماني مرات ، يلتقي فيها بالادباء العرب . وكانت احدث زياراته هذه في فبراير ١٩٧١ حيث تعرفنا بشخصه وديوانه اللطيفين ، وكان قد بدأ محاولاته الشعرية منذ صباه بلبنان ثم ظل ينظم الشعر القومي والوجداني في ساعات فراغه بالمهجر ما اجتمع اخيرا في ديوانه : « حنين » المطبوع بزحلة عام ١٩٦٨ متضمنا اكثر من خمسين قصيدة ومقطوعة في شتى الاغراض فنرى بين شعره القومي المكين : قصائده عن فلسطين ، والوعد الجاني ، وجراح ، والم وأمل ، واللاجيء ، والجزائر ... وبين شعر الاغتراب والحنين : وحشة القلب ، وحنين المغترب ، وفي عالم الذكرى ، ولبنان ... وبين الوجدانيات : الحب الصامت ، والشاعر المصدور ، وغفوة ... ومن شعر المناسبات : خطرات في عبقر ، والى الكاتبة المهجرية ماري يني ، والى مي ، والى روح رشيد أيوب ، والى بشاره الخوري ، وموت الاديب ... (١٠)

الاسكندرية   نقولا يوسف

---

٨ – انظر دراسات عن شفيق المعلوف وشعره في : « التجديد في شعر المهجر » لانسي داود ، ١٩٦٧ ، ص ٤٣٠ – ٤٥١ ، و «شخصيات في الادب المعاصر » لوحيد الدين بهاء الدين ، ١٩٧٠ ، ص ٤٥ – ٥٨ ، و « أدب المهجر » لعيسى الناعوري ص ٥١٧ ، ومقالة في « المجلة » بالقاهرة ، يوليه ١٩٦٤ لحبيب الزحلاوي .

٩ – انظر : جورج صيدح « ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية » ط – ٣ – ١٩٦٥ ويعقوب العودات : « الناطقون بالضاد في امريكا الجنوبية » .

١٠ – سنفرد عن ديوان : « حنين » وصاحبه كلمة اخرى .

على اطلال راشيا

انشدت في الرابع من ايلول سنة ١٩٧٢ في راشيا الوادي على قدم حرمون بعد غياب ٦٤ سنة

اخاطب الدار والاشباح والصمدا — لست الغريب اذا ما زرتهم ابدا
انا القريب وطي الاصغرين دم — يسيل تحنانه من نايه كمدا
كم بت في لوعة تشتاق رؤيتهم — والشوق ينكز مني الروح والجسدا
مثل المتيم موعود اللقاء الى — احبابه يرتجي انجاز ما وعدا
طال البعاد وطال الشوق والهفي — والصب تحرقه الآهات ان بعدا
هن الاناشيد عن حرمون مزرعتي — طي الاغاني غدون الطائر الغردا
بعثتهن الى الافاق ساجعة — بين الكواكب تطوي يومها وغدا
حرمون يا قمة الدنيا مثلثة — حبيك مزق مني الصبر والجلدا
ما حملق الطرف الا نحو غرته — اخشى على العين ان طال الجوى الرمدا

يا عصبة الله من اهلي ومن بلدي — اكرم بهم عصبة اكرم به بلدا
وعترة المجد من واد ومن جبل — هذا الوليد لعهد البيت ما جحدا
اتيتكم ورياح الشوق تعصف بي — هبت حنينا بقلب الصب محتشدا
ذكرى المطلة والبلحاء خالدة (١) — اضحت لخيمة اشعار الفتى عمدا
كأنها في خلايا مهجتي ودمي — تمد عيني في رؤيا العلى ويدا
انتم انا ـ وانا انتم ـ فواطربي — من نبعة تكرم الآباء والولدا
وكيف انساك يا ذكرى جبابرة — من امة انزلت للعالمين هدى
تلك الجنائن من تين ومن عنب — رغم الجفاف تردت خيرات ردا
وازهر الحقل واشتارت سنابله — من تربه القوت والريحان والزبدا
وسنديانة مار الياس ما برحت — شعري ومثوى رفات الاهل كيف غدا
احلام اشباحهم غذين قافيتي — وكن عند توانيها لها مددا

وهنا في هذا المنحنى يتوقف الشاعر ليخاطب وليد راشيا ووادي التيم في كندا وسواها من اميركا الشمالية والجنوبية قائلا :

هذي بلادكم رغم الحنين الى — فينيقيا حيث ..... قد ولدا
بلاد غربتنا ما كان افضلها — في كل صقع لرواد العلاء صدا
نزلتموها قديما وهي واجمة — فبتم لفواغيها الحيا وندى
امسيتم في سماها غر انجمها — وبين سكانها في غابها اسدا

تناسل الولد وامتدت اواصره — والدرب شع بنار الكد متقدا
طوبى لمغترب ضمته اضلعكم — ما ضل عن اهله ما زاغ او شردا
امد نحوكم كفا مضمدة — من بعد ان جزت الاقدار لي عضدا
ظلت مواليد وادي التيم اين غدت — في الخافقين عبير الدهر يا كندا
هنا لنا ولكم في التيم اضرحة — ضمت لنا مهجا ـ ضمت لنا كبدا

---

(١) المطلة والبلحاء ضواح من راشيا

هوستن ـ تكساس امريكا

سليمان داود

قصة

حمـال ..

بقلم عبد اللطيف هاشم السعدي

ـ حسون .. حسون ..

ولم يجبها حسون ..

ـ **اين ولـي ؟**

فسألت ابنتها الصغيرة التي كانت تقف الى جنبها .

ـ اين حسون ؟

ـ ماما .. انه في غرفته ..

اخذت الام تصك علـى اسنانها .. وكان صوتها يخرج مـــن بين الاسنان المصكوكة كأنه انين هـرة حبيسة .

ـ انه في غرفته .. انه يسمعني . ومع هذا لا يرد علـى ندائي .. ح .. سو .. ن . ثم رفعت صوتها عاليـا .

ـ حسون .. حسون

ولم يجبها حسون .

فالتفتت الى ابنتها الصغيرة التي كانت تلهو بلعبتها .

ـ اذهبي اليه وقولي له ان ماما **تريدك ..**

ـ لا اذهب !

ـ **لماذا ؟** ـ هل انت ايضا راسك مثل رأس حسون ؟

ـ لا ماما .. ان رأسي صغيـر وراس حسون كبير .. ولكني اخاف منه .. انه يضربني عندما اذهب اليه .

ـ انه يضربك لانك مؤذية وتقومين باعمال مزعجة !

ـ والله ماما .. انا عاقلة ، ولست مؤذية .. انه يضربني عندما العب بكتبه !

ورفعت الام صوتها عاليا مـرة اخـرى .

ـ حسون .. حسون .. لقـد فتت كبدي من كثرة النداء عليك .

ـ ماذا تريدين ؟

ـ تعال .. ارني طلعتك البهية !

وفتح باب الغرفة ، واطلت طلعة حسون .. في العشرين من عمره ، اسمر اللون . مربوع القامة ، مكتنز الجسم .. عينان قهوائيتان .. فم مبروم يعلوه شاربان خفيفان ..

ـ تعال .. صار الوقت ضحـى وانت لم تتسوق بعد .

ـ كيف اتسوق وانـت لا تملكين سوى درهم واحد ؟

ـ اذهب الى جدك وهات لي منه خمسة دنانير ..

ـ اذهبي انت اليه .. بيتـه قريب من بيتنا .. اما انا فلا اذهب ولو قطعت اوصالي .. انه يشتمني دائما ، ولولا انه جدي وانه شايب ... ل ... ! انه فظيع في شتائمه .

ـ تحمله ! .. انه جـدك اولا ولاننا بحاجة اليه ثانيا !

ـ لا استطيع .. لقد لج فـي السباب اكثر من اللازم في المـرة الاخيرة .. انت تعرفيه احسن مني .. اذهبي انت اليه وهاتي المبلـغ منه .. وانا اذهب الى السوق ..

ظلت ام حسـون صامتـــة .. وفتشت لها عن سيجارة في جيبهـا فلم تجد ، ثم تذكرت بأن سجائرها قد نفذت منذ الصباح البـاكر .. اخذت دمعتان حائرتان ترتجفان في مقلتيها .. نظرت الى حسون .. كان منفعلا من الغضب ! .. ثـم انهمرت الدموع ! ..

ـ **ما العمل ؟** قالتها بيأس منقوع بالدموع الساخنة .

ـ استلفي من اخيك ؟

ـ انه لا يعطي شيئا ؟

ـ لماذا ؟ صرخ حسون .. (جفلت امه .. كانت صرخة يتيم مقهور .. منهوب) .. انه موظف .. ويعيش عندنا .. يأكل ويشرب وينام .. ولا يساهم في المصروف ! .. هـل هذا وجدان ! هل هذا انصاف .. تكلمي .. قولي !

لم تتكلم ولم تقل شيئا . اذ رأت ولدها يرتجف كأنه عصفور ذبيح ! .. ولكنها نظرت اليه بحقد دفين ! وارادت ان تهدىء من سورة غضبه الذي اذا استمر فانه يدمر ولا يقف عند حد .

ـ انا لم اطلب منه .. وربما انه لا يعرف بأننا في ضنك من العيش !

ـ لا .. يعر .. ف ! قـالهـا باستهزاء وهو يتحاشى نظرة الحقد المصوبة اليه .

ـ لا يعرف .. أليس كذلك ؟ .. لكنه يعرف كيف يدخن ثلاث علب سجائر يوميا .. ويعرف كيف يشتم الناس مثل ابيه ! ..

اخذت ام حسون تخمش وجهها وتلطم صدرها ، وهذه هي عادتهـا كلما وجدت نفسها متورطة فـي النقاش .

ـ الله ابتلاني بكم .. وجوهكم شر علي .. مات ابوكم ولم يترك لكم موردا تعيشون منه .. وتزوجت عمكم .. فغرق بالسياسة الى اذنيه ، وها انه رهن الاعتقال بعيـد عنا .. ماذا افعل لكم ؟ .. او .. ف .. ربي .. عشرة حلوق تريد منـي طعاما !

نهض حسون متثاقلا .. لقـد تعود ان يسمع مثل هذه العبارات اكثر من عشرين مرة في اليوم الواحد .. انها تتعارك يوميـا ، وبعـدد الساعات ! .. مع اولادها .. مـع عمتها .. مع اي كـان ولو مـع الحائط ! . ثم نظر الى امه نظـرة ذات معنى ..

ـ حسنا بدون بكاء وبدون نواح .. سأذهب اليه . ولكن لا تنسـي

الحلق الكبير الآخر .. الذي يمتص قوتا يعادل ... الحلوق العشرة !

وعند الباب لحقت به اختـــه الصغيرة .

ـ ماذا تريدين يا شيطانة ؟

ـ اريد ان ابوسك !

ـ فقط ؟ وقرصها من خدها .

ـ ها .. واطرقت براسها الـى الارض ووضعت سبابة يدها اليمنى في فمها .. وحامض حلو .. وبامية .. انا احب البامية .. ورقي .

ـ وماذا بعد ؟ .. ورفعها حسون الـى صدره .

ـ سلامتك ..

ـ حسنا .. حسب امـرك .. خذي البوسة اولا .. وسأجلب لك كل الذي طلبتيه .

ـ مع السلامة .. واخذت تلوح له بيدها وابتسامة ملاك تغمـــر وجهها الابيض الصغير ..

ـ اوه ! يا للصغار كيف يحبون انفسهم ؟ .

ـ لأتحمل كافة التشائم .. كان يحدث نفسه وهو في طريقه الـى دار جده .. على الاقل لاجل خاطر امينة .. هل استطيع ان ارد لها طلبا ؟ .. انها لو طلبت حيـاتـي لوهبتها لها .. ولكن ماذا اعمل لو اصر جدي .. او .. ه .. يجب ان لا استعجل الامور .

ولم يستعجل الامور ! وجد باب الدار مفتوحة ودلف منهـــا الـى الداخل ..

كان جده ثائرا . والشتائم تنهمر من فمه على جميع الموجودين فـي الدار كأنها المطر ! .

وعندما دخل .. تناوشه جـده بالشتائم .. ووقف مبهوتا لا يـدرك معنى لذلك .. فنظر الى الموجودين .. كانت عيونهم تضحك وشفاهـم تتغامز ! ، كأنما تقول له انـت ايضا اصابك الرذاذ .

ـ كلاب اولاد الكلب .. ستتلف الكتب .. صارلها ثلاثة ايام وهي في مكانها .. لكن الله العظيم اذا تلفت الكتب سأحطم رؤوسكم بعصــاي هذه .

ورفع عصاه كأنه يريد ان يحطم رؤوسهن !

ـ انظروا يا ناس .. انهن يضحكن كالقحاب !

كن يضحكن فعلا .. زوجتـــه الشابة كانت تقلد حركاته وهـي تقف وراءه .. كان يراها في المرآة المعلقة امامه وهي لا تحس بذلك ! . وابنة اخيه المطلقة كانت تهتز كمن اصيبت بصرع وقهقهة عالية تخرج من حلقها الذي غطى نصف وجهها ! وكانت ابنته الصغيرة تضحك .. ولا تدري لماذا تضحك ؟ .. ويبدو ان المشهد التمثيلي قد اعجبها .

لقد تذكر .. هذه الكتب تعـود الى خاله الكبير الذي كان معتقـلا .. وقد راجت اشاعة مفادهـا ان الحكومة تريد ان تصادر كافة اموال المعتقلين .. والكتب من ضمـــن الاموال .

وكانت كتب خاله تعتبـر ثمينة فرأى جده ان ينقلها الى داره .

كانت محشوكة حشكا في داخل اكياس كبيرة من الجنفاص التـــي كانت تستعمل لتعبئة الطحين ... وكانت الاكياس مكدسة بعضها فوق البعض الآخر في احدى زوايا صحن الدار .

ظل حسون واقفا وسط صحن الدار ينظر الى الكتب .. ثم اخذت عيناه تتنقلان من وجه الى آخر .. والى الكتب ! وكرة اخرى ساحت عيناه بين الوجوه .. لقـد مـرت الشخوص ، التي صمتت الان امام عينيه ، فوجدها كلها بليدة ، قاتمة لا تستيطع ان تمتص النور ! ثم ركز عينيه على الكتب المهدورة الكرامة ! « نتاج الفكر الانساني تدوسه اقدام هؤلاء الحمقى ! . »

ـ وانت ماذا تريد ؟ صرخ جده بوجهه .

ـ امي تريد خمسة دنانير قالها حسون بكلمة جامعة مانعة .. بدون مقدمات وبدون تزويق وبصوت بذل جهده في ان يكون رقيقا .. مهذبا لئلا يزيد في غضب جده الذي كان يفور الان .

ـ لا اعطيكم .. كلاب اولاد الكلب .. لقد نهبتم اموالي .

ـ وكيف ؟ وصوت حسون لا زال رقيقا ، مهذبا !

ـ اخرس .. سددوا دينكـم السابق اولا .. حتى اعطيكم .. انا لست مصرفا .. انا غير مكلف بكم .

ـ جدي .. انت وكيل عمـي وانت تقبض الايجارات .. فأعطنـا على الحساب ! اخذ صوت حسون يخشن ولكنه لا زال مهذبا ! ..

ـ اطلع من البيت يا ابن الفاجرة .. لا زلت صغيرا ولكنك تعـرف .. آه .. تريد ان تأكل اموالي .

ضحك حسون

ـ احقا ان امي فاجرة ؟ .. انها ابنتك على كل حال ! .. والان هل ستعطيني المبلـغ .. انـنـا بـدون مصروف .. بدون اكل !

ـ وخالك .. الا يعطيكم ؟

ـ كلا .. ولا فلس واحد !

ـ آه .. هذا الخسيس .. هذا الكلب ! ..

ضحك حسون

ـ انه ابنك على كل حال، فاشتمه كما تريد .. والان ؟

ـ لا اعطيكم .. ولا فلس واحد .. ولا نواة تمرة ! والان اخرج من البيت قبل ان اكسر هـذه العصا على راسك .. يا ابن .. وانهالـت الشتائم !

صمت حسون .. ووقف حائـرا ! لا يدري ماذا يفعل ..

ـ حقا انني ابن فاجرة والا لـما جئت الى هذا الارعن الذي لـم يدع كلمة واحدة في قاموس الشتائم دون ان يقذفها على الاموات والاحياء من اهلي ! ..

كان جده لا زال يقذف بالشتائم ولكن في هذه المرة كانت على ولده

الصغير الذي جاء يطلب منه درهما لشراء بعض الحلويات . ولكن الولد الصغير استطاع بصراخه وبصياح النسوة من اجبار الشيخ الفاني على اخراج ورقة نقدية من فئة ربع دينار من محفظته ..

كانت المحفظة مكتظة بالاوراق النقدية .. آه يا للنذل !

نظر حسون الى الورقة الصغيرة الخضراء بيد خاله الصغير ! ... انها على بعد خطوتين منه .. انه يستطيع ان ينتشها من يده بأقل من لمح البصر ! ..

ــ ولكن هذا عيب .. عيب كبير وهل من مثلي ينزل الى هذا الدرك .. لا .. فلنمت كلنا جوعا .. وحتى امينة ! لو اراها تموت امامي ، لا افعل هذا .

وصل حسون عتبة الباب .. سمع صوت جده يناديه آه .. لعله غير رأيه وسيعطيني المبلغ .

ــ نعم ..

ــ اذهب الى السوق واجلب حمالا لنقل الكتب ..

خرج حسون دون ان ينطق بكلمة واحدة .. اراد ان يقول له .. وهل انا خادم عندك .. ولكنه لم يقل له ذلك . وصمم فعلا على جلب الحمال ، ليس تنفيذا لامر جده ولكن من اجل خاطر الكتب المرمية بلا مبالاة والتي يدوسها هؤلاء الاغبياء ! ..

ــ رقي .. احمر وحلو .. كان بائع الرقي السمين ينادي على بضاعته .

ــ تفضل .. سيد حسون .. رقي ممتاز .. على شرط السكين ، وتناول رقية وبعجها بسكينه الطويلة الحادة .. كانت حمراء جدا .. غطى حسون عينيه بذراعه .. اوه .. امينة طلبت مني رقي .. قالت لي : انها تحب الرقي ــ البامية .. الحامض حلو .

نظر حواليه .. كل شيء موجود في السوق بامية .. باذنجان .. طماطم .. لحم ، عنب ، حامض حلو .. كل شيء ولكن ، لكل شيء ثمن ! .. تذكر ان جده يريد حمالا لنقل الكتب .. آه وماذا اصير لو اشتغلت حمالا هذا اليوم هل انقلب الى شخص آخر ام اظل انا نفسي حسون بلحمي ودمي !

ــ جدي .. لقد جاء الحمال ولكنه يريد نصف دينار .

ــ كم يريد ؟ تظاهر بانه لم يسمع الرقم .

ــ نصف دينار ..

ــ آه .. هذا الحرامي الا توجد حكومة تسجنه .. ينهب اموال الناس .. أح .. أح .. ولزمته نوبة السعال الحادة ، وازرق وجهه وطفر الساف العلوي من اسنانه العارية ووقع على الارض ولكنه لم ينكسر ..

ــ قل .. أح .. أح .. قل له أح .. أح .. هل يقبل بربع دينار ؟

ــ لا اظن ! ومع هذا سأسأله !

وخرج حسون .. لا بأس ربع دينار .. انه يكفينا هذا اليوم !!

ودخل حسون .

ــ لقد وافق .. ولكنه يريد المبلغ مقدما ..

وانفجر الجد غاضبا .

ــ الم اقل لك انه حرامي .. آه كلاب اولاد الكلب .. كلكم حرامية .. لصوص .. تريدون ان تنهبوا اموالي .. أح .. أح .. ونوبة سعال اقوى من الاولى .

ضحك حسون .

ــ جدي .. انه ليس لصا ، ولا يريد ان ينهب اموالك .. انه يقول : ان هذا الشايب عصبي المزاج ، ويشتم الناس كثيرا ، وانا اريد اجرتي مقدما .. هيه .. ماذا تقول أأنادي عليه ؟

هاك .. اعطها له .. ورمى بورقة نقدية من فئة ربع دينار على الارض .. التقطها حسون .. ودسها في جيبه على مهل .

ــ الى اين تريدون نقل الكتب ؟

ــ فوق .. الى تلك الغرفة واشار اليها بطرف عصاه .. تقدم حسون نحو اكياس الكتب المطروحة .. تناول الكيس الاول .. وجده ثقيلا .. انه يستطيع حمله ، ولكن قد تتمزق بعض الكتب التي بداخله ! وبكل هدوء اخذ يخرج الكتب من داخل الكيس ويضعها بكل عناية على الارض .. ثم حلحل الكيس ... وجده سهل الحمل .. فحمله بين ذراعيه ووضعه على الدرجة الثانية من السلم ، ثم انحنى وحمل الكيس على ظهره .

ــ اين الحمال ؟

ــ الا تراه .. انه يشتغل !

قالها حسون باستهزاء وهو يضع قدمه على الدرجة الاولى من السلم .

ــ الم اقل لكم .. يا ناس .. كلهم حراميه .. قحاب .. لصوص كلكم ، كلهم ، اولاد الحرام ، خدعني اخذ مني ربع دينار .. أح .. أح أح ..

لم يرد عليه .. واصل صعود السلم بصمت .. ووضع الكيس في الغرفة التي خصصت لوضع الكتب فيها .. ثم نزل .. وحمل كيسا آخرا .. وصعد .. اخذ العرق ينز من قمة رأسه الى اصابع قدميه ثم اخذ ينضح من ثوبه وسرواله .. ولزق الثوب بجسمه .. خلعه .. وعصره .. كان مخضلا بالعرق الناز من جسمه .. جف حلقه .. ولزقت لهاته .. وصار لعابه كأنه الشريس الثخين .. واخذت تتكوم حول فمه وعلى شفتيه مادة بيضاء لها طعم الملح المر !

لقد احس بالتعب وهو يحمل الكيس العشرين .. شعر بأن رجليه ترتجفان .. وان عضلتيهما الخلفيتين قد توترتا بشكل تخيل فيه بأنهما ستتمزقان ! ..

وعندما قالت احداهن .. لقد تعب حسون .. ينبغي مساعدته صرخ جده بوجهها :

مشرع للربع

الى روح الشاعر وصفي قرنفلي

●

كم تغني في القلب نار حنين — كيف تذكي في داخلي الف نار
عطشي ها هنا ضباب حزين — مد بين الاعصار والاعصار
وهجرنا بالرغم ارضا هجرناها — ورحنا فمات من بالديار
قلبك الحي منذر بالدمار

انا اشرعت للغواية شباكي — وبابي والبوح اقسى غوايه
انا اشرعت للهداية اعلامي — واحرقت ما يحيط الهدايه
ثم امسكت خيط درب طويل — لم اجد مبدأ له .. ونهايه
فعذابي فيض وفيه الكفايه

تابعت بعدك الدقائق ترحالا — فآه كم صار عمر الدقيقه
قد دخلنا من بابها اليوم حبا — وخرجنا خوف الحراب العتيقه
ثم ضعنا في البيد عمرا طويلا — نسأل الصمت عن دروب الحقيقه
كنت قبل الضياع جمر الحقيقة

ثم قالوا : يخاصم ... في الحب انتحبت على وعدها بالاياب
ثم سافرت والحنين والمداجي — يخنق الدرب والنجوم الخوابي
بعدها شب في الحياة حريق — واختفى الظل يومها في السحاب
« كان يوما عشناه دون صواب »

سيغني لبعدنا الدهر تدنو — وتناجي فيها السماء الفصول
سوف يأتي على جناح السماوات — تغني له الرياح ، الطلول
سوف يأتيك حب قلبي على البعد — ولكن من اين ؟ كيف الوصول
قد تطول الذرا وقد لا تطول

حمص — تميم كنعان

— دعيه لوحده .. فالحمار يموت بأجرته ..

— هذا صحيح .. ايها الجدث الخاوي .. ولكنه يموت شريفا !

تمتم حسون بصوت غير مسموع. وعندما قالت احداهن اعطوا قدح ماء الى حسون لقد هلك من العطش .. رفض حسون قدح الماء .. لم يتو حسون وهو يحمل الكيس الاخير من ان ينقل رجليه من درجة الى اخرى .. ظل واقفا والكيس على ظهره .. تخيل انهم ينظرون اليه بشماتة .. وارتسمت صورة امينة امامه « انا احب الحامض حلو .. البامية .. احب الرقي » ..

— مالك توقفت ؟

انفجرت في داخله قوة جديدة .. ارتقى السلم ووضع الكيس الاخير جنب الاكياس الاخرى ... ونزل بهدوء وبدون ان يكلم احدا من اهل الدار تناول قميصه ووضعه على كتفه وخرج الى السوق .

بغداد — عبد اللطيف هاشم السعدي

الشيخوخة

بقلم الدكتورة صبيحة الدباغ

الطبيبة الباحثة في قسم الدراسات العليا في جامعة لندن

***

ان اي مخلوق حي هو حلقة في سلسلة طويلة متطورة ، تبدأ من اول الخليقة وتستمر . وكل كائن منا هو نتيجة لانشطار وتكاثر حجيرة واحدة جاءت من أبويه ، وهو بدوره يمنحها لابنائه وهكذا .

ورغم استمرار الحياة البشرية فهي في تغير دائم ، فهناك الطفولة حتى سن الثانية عشرة ، ثم الاستعداد الجدي لحياة البلوغمن الثانية عشرة حتى العشرين ، ومن ثم مرحلتان من مراحل الفعالية ، هما : مرحلة الحياة البالغة النشيطة من العشرين حتى الخامسة والثلاثين ، ومرحلة النضج من الخامسة والثلاثين حتى الخمسين ، ثم تأتي المراهقة الثانية التي هي اكثر اهمية من المراهقة الاولى .

وتعد الفترة بين الخامسة والخمسين والخامسة والستين بمثابة التهيؤ للفترة الفلسفية التأملية في الحياة ، وهي الاخرى تتألف من جزأين : الجزء المنتهي بسن الثمانين وهي الشيخوخة الفعالة ، وما اعقب ذلك فالشيخوخة الفلسفية الكبرى التي تفضي الى البداية الجديدة الاخيرة ، اذا صح التعبير .

ولا خوف من اي مرحلة من هذه المراحل ، فلكل منها متعتها ومتاعبها من دون شك ، ولسائل ان يسأل : وما متعة الشيخوخة ؟ متعتها ان الدماغ فيها يعمل بكفاءة اعظم من أي فترة اخرى ، وقد لا يتعارض الوضوح الذهني الحاد مع الصوت المتهدج المتعب والاصابع المرتعشة ، على ان ذلك يعتمد على درجة صلاح اوردة الدماغ التي تتفاوت من شخص لآخر ، فقد يكون هناك رجل في سن المائة ، وذهنه حاد وقاد ، في حين ان آخر قد انحطت قواه الفكرية في سن الستين .

وخريف العمر قد يكون جميلا كربيعه اذا عرف الانسان كيف يستعد له الاستعداد الكافي ، فهذه هي الفترة التأملية الفلسفية الهادئة ، غير انها ، مع ذلك ، لا تخلو من متاعب ، واهمها ثقل السمع ، وهو أمر مزعج ، لان العمى يثير الاشفاق ، ولكن الصمم يثير اعصاب الانسان ويزعجها ، ولعل خير وسيلة للاستعداد لمثل هذا الوضع هو الشروع بالتعود على قراءة الشفاه وفهم الكلمات من طريقة تحريكها ، وبذلك يمكن التخلص من كثير من المزعجات .

ومن متاعب الشيخوخة أيضا الاصابة بالدوار ، وهو أمر ملحوظ في كثيرين ممن بلغوا الخامسة والثمانين ، ويمكن الاقلال من تأثيره بعدم تحريك الرأس بسرعة ، او النهوض على عجل ، ولا سيما بعد الفراغ من وجبة طعام ، واذا أصبت بشيء من الدوار ، رغم ذلك ، فعليك بالجلوس حتى يمضي تأثيره .

ومن متاعبها ضعف البصر ، وقد لا نجد فيمن بلغوا الخامسة والستين الا قلائل ممن لا يحتاجون الى نظارات ، ومن الافضل الاستعانة بها ، ولا سيما في القراءة ، لان الكتب ستكون أعز اصدقاء الشيخوخة ، والى ذلك لا بد من وجود اضاءة كافية ، وفي المواضع الضرورية ، ولا سيما الى جنب سرير النوم ، ليتجنب الشيخ المتعب حوادث الانزلاق والتعثر في الظلام .

ومنها ايضا آلام القدمين ، وبطبيعة الحال عندما يصل المرء الى سن الشيخوخة ، يكون قد قطع ما لا يقل عن ربع مليون ميل ، ومن الافضل في مثل هذه الحال الاقلال من الوقوف ، وخفض الوزن لتحاشي الضغط على القدمين .

وتتأثر البشرة كذلك فتظهر التجاعيد ، غير انها اعمق احيانا في النفس منها في الوجه ، كما يقول الكاتب الفرنسي (مونتين) .

واهم من ذلك كله تصلب الشرايين ، اذ تفقد مطاطيتها ، ويحدث ذلك تدريجيا بعد اجتياز مرحلة الشباب ، ويمكن الاقلال من مساوئها بالاكثار من رياضة السير وتحاشي الاطعمة الدسمة .

ومن اخطر ما يسم سني الشيخوخة ظواهر الانانية ، وعدم الاكتراث ، والتذمر ، والكآبة ، والاستيحاش من المجتمعات . ولمعالجة كثير من هذه الاخطار يجب على الانسان ان يعد لنفسه هوايات تستمر معه طوال سنوات الشيخوخة .

ومع تقدم السن تقل الحاجة للنوم ، وتزداد الحاجة للراحة ، وعلى المرء ان يهتم بالاخيرة بصورة خاصة ، ويتقبل النوم متى ما عقد اجفانه ، ولا يقلق اذا ما استعصى عليه ، فكثيرون هم الشيوخ الذين ينهضون في الليل ، ويعدون كأسا من الشاي ، ويكتبون بعض الرسائل ، ويطالعون ، او يتخطون بهدوء في غرفهم دون ان يقلقوا راحة الآخرين . كل هذا شيء اعتيادي مألوف لا ضرر منه ، غير ان المهم هو المحافظة على حرارة الجسم ، ففي الشيوخ تتفاوت هذه الحرارة بالنسبة للمحيط ، فهي لا تبقى ثابتة بدرجة ٣٧ مئوية ، وعلى الانسان ان يحافظ على هذه الدرجة بوسائل التدفئة والملابس الواقية .

ومن الافضل الا يذهب الانسان في شيخوخته

الحق المهان

يخز الضمير ويجرح الاحساسا ... حق يهان فلا يثير الناسا
وعجيبة ان تستمر (عصابة) ... تطأ الهدى وتلوث الاقداسا
رعناء اسكرها الغرور فامعنت ... بطرا وزادت خسة وشراسا
تلهو وتعبث لا تقيم لمنطق ... وزنا ولا لمبادىء مقياسا
ومنظمات الحق كل جهودها ... للحق لا يتجاوز القرطاسا
لا مجلس الامن استعاد وقاره ... واقام هيبته وثار حماسا
كلا ولا وجمعية الامم انتهت ... يوما الى حكم يرد شماسا
ويقال ان العصر عصر مبادىء ... فضلى تقيم الوزن والقسطاسا
قول يخالفه الفعال وربما ... خدع الدهاة وضلل الاكياسا

ماذا يراد بنا فديتك امتي ... لنقيم داخل ارضنا حراسا
اللص في بيتي وبين محارمي ... يؤذي النفوس ويكتم الانفاسا
ويقال لي لا تستفز شعوره ... ابدا ولا تبخل له ايناسا
سخف وسفسطة واية منطق ... هذا : لقد خسىء العدو وخاسا
افلست من شيم العروبة ان انا ... طاطات سالفة لذاك وراسا
لا والذي فلق النوى لأشنها ... حرب البسوس ضراوة وشراسا
حرب تدك الراسيات مرارة ... وتحطم الانياب والاضراسا
حتى يعود الحق نحو نصابه ... يرضي النفوس ويبهج الاحساسا

جازان ــ السعودية

محمد بن علي السنوسي

المتأخرة للسكن في اماكن غير مألوفة لديه ، او بعيدة عن الاسواق والحوانيت .

ومما يجدر ذكره انني رأيت في بعض البلاد الراقية عناية تفوق الوصف بالمسنين ، فهم على درجات ، فالمسنون الطاعنون في السن قد هيئت لهم بيوت تشبه المستشفيات ، لانهم في الغالب مقعدون ، او شبه مقعدين . وقد كيفت الاسرة حسب العاهة ، وكذلك الابواب ومقابضها ، والارض غطيت بأغطية تحول دون تزحلقهم ، ووضعت مساند ومقابض في الجدران ، ومقابض مدلاة من السقوف ، لكي يستعينوا بها عند نهوضهم وسيرهم ، وكذلك ادوات الطعام والشراب قد كيفت لكي يسهل استعمالها من قبلهم ، وهيئت لهم الحمامات المنشطة ، وعين للسهر عليهم والعناية بهم خدم وممرضات واطباء اكفاء .

اما من كانوا أصغر سنا ، فقد انشئت لهم مساكن صغيرة في محلات جماعية ، زودت بحدائق واسعة ونواد يجتمعون فيها ، ويمارسون مختلف الهوايات ، وكل هذا مجانا او شبه مجان يتمتع به غنيهم وفقيرهم على السواء .

والتقاعد ميسور من سن الاربعين فما فوق ، فان بلغت سن الاربعين فلك الخيار في ان تحيل نفسك على التقاعد او تمكث في العمل ، واذا ما بلغت سن التقاعد تمتعت بالتخفيضات في المسارح ودور السينما ، واعفيت من أجور السيارات العامة والمعالجة الطبية ، وصرفت لك الادوية مجانا من أي صيدلية شئت .

اما السكن فيوفر لك بأجر زهيد او بدونه ، فضلا عن الخدمات المختلفة التي تؤدى للعاجز في مختلف المضامير ، كما اسلفنا .

لندن

صبيحة الدباغ

مكتبة الاديب

قيم حضارية في القرآن الكريم

تأليف توفيق السبع ـ سلسلة البحوث الاسلامية ـ جزءان ـ الجزء الاول ٣٣٨ صفحة ـ الجزء الثاني ٣٧٧ صفحة ـ مجمع البحوث الاسلامية بالازهر

أعرف الاستاذ توفيق محمد السبع ، الاستاذ بكلية اللغة العربية بالرياض جادا دءوبا يبحث في صمت ومهل ثم يصدر انتاجه ثرا غزيرا يحمل طابع الجدة وينم عن اجتهاد ودرس ، وقد اخذ منذ عامين يوالي اصدار كتبه الدينية التي أعد العدة لها منذ امد طويل فلم يتعجل النشر بل ظل يدرس ويتأمل حتى اهتدى الى جانب هام من جوانب الثقافة الاسلامية جعله ميدان جولاته بعد ان هيأ وسائل الصيال .

لقد اصدر الاستاذ كتبا هامة قبل مؤلفه الاخير وكان اظهرها كتابه الحافل « نفوس ودروس » هذا الذي فتح الله به عليه فكان جديدا في طريقة بحثه اذ تهدى حصيفا بأحدث ما تمخضت عنه الدراسات النفسية فسد مسدا كريما ووفق أتم التوفيق .

وهذا الكتاب الجديد « قيم حضارية في القرآن الكريم » ظهر جزؤه الاول في غرة ربيع الآخر سنة ١٣٩٢ هـ ، وظهر الجزء الثاني منه في غرة جمادى الآخر سنة ١٣٩٢ هـ ... وكلا الجزئين صدرا عن مجمع البحوث الاسلامية بالازهر .

والجزء الاول يقع في ٣٣٨ صفحة من القطع المتوسط ، والثاني يقع في ٣٧٧ صفحة من القطع ذاته ... وقد قدم للجزئين فضيلة الدكتور محمد بيصار أمين المجمع ويعتبر هذا الكتاب فريدا في موضوعه ... فقد صدرت مؤلفات كثيرة في موضوع « الحضارة الاسلامية » ... بعضها مترجم ، وبعضها مؤلف ... ولكن قيمة هذا الكتاب بجزئيه ترجع الى انه قد استمد من القرآن الكريم مباشرة .. فعرض الآيات القرآنية عرضا جذابا واستنبط منها قيما حضارية رفيعة ثم وازن بين معطيات القرآن وبين كتابة المؤرخين للحضارة ...

وخرج بنتائج ايجابية ... يستطيع القارىء ان يلم بها في يسر وسهولة ...

وتناول الجزء الاول « عالم ما قبل القرآن » وما كان يسوده من ضلال وانحراف ... وكيف عبث الشيطان بمقوماته وقيمه ... وكيف ان حركات الاصلاح من قبله قد عجزت عن مقاومة الفساد ، ومدافعة عوامل الشر .. ولم يفت الكاتب ان يتعرض بالتحليل لبعض الحضارات البشرية القديمة التي وصفها القرآن . كحضارة عاد وثمود ومدائن صالح وحضارة داوود وسليمان وبلقيس فوضح من خلال الآيات ما في تلك الحضارات من عناصر الابداع والجمال مما يجعلنا نؤمن بعبقرية العقل الانساني وتبرز قانونا عاما طالما تعرض له شراح الحضارات وهو ان الاستقامة على امر الله والعمل بشريعته وهداه واتباع مناهج الرسل هي الوسائل الكفيلة باستمرار هذه الحضارات حتى يأذن الله..

حتى اذا انحل أصحابها ، وابطرتهم النعم ، وغرقوا في الترف وتنكروا لصوت الوحي أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ..

وقد افتتح المؤلف هذا الجزء بفصل ممتع حدثنا فيه عن مصطلحات لا بد من دراستها لمن يريد بحث الحضارة وهي « الحضارة والثقافة والمدنية » مبينا علاقة هذه المعاني ببعضها وفي الفصل الثاني حدثنا عن الله والكون والانسان وكيف ان تفاعل الانسان مع الكون واستمداده من ربه يكفلان صنع حضارة ربانية بعيدة عن الغرور والخداع منزهة عن البطش والتدمير ...

وكم يجد القراء اثناء هذه البحوث تحليلا رائعا لآيات الكتاب العزيز يستنبط منه المؤلف معاني حضارية لها اثرها في دعم الحياة وتطورها .

اما الجزء الثاني فموضوعه « العالم الذي صنعه القرآن » .

وفي الفصل الاول منه يحدثنا المؤلف عن البعث الجديد موضحا أسراره وعجائبه ... وكيف استطاع في اقصر فترة من عمر الزمن ان ينفض الغبار عن جوهر الانسانية ويعيد اليها حقائقها ومقوماتها لتنهض من عثارها وتأخذ مكانها في صنع حضارة ربانية تستمدها من كتاب الله .. كما وضح في هذا الفصل اثر القيادة والمنهج في الاتجاه الحضاري فعرض آيات من كتاب الله استنبط منها معاني لطيفة وافكارا جديدة .. ثم كشف عن سر تقبل الناس لتلك الدعوة وتجاوبهم معها.. وعرض لاقوال المستشرقين مفندا مزاعمهم مناقشا اياهم بالمنطق والبرهان .

وفي الفصل الثاني حدثنا المؤلف عن خصائص الحضارة القرآنية ومقوماتها .. وقيمها العليا .. ومكانة العقل في حضارة القرآن وعقد بابا تحدث فيه عن الاجتهاد مؤكدا في قوة مؤمنة وجوب فتح باب الاجتهاد من جديد ليلاحق قضايا الحياة المتجددة ، ويجعل الفقه الاسلامي قادرا على مواجهة المشكلات الطارئة .. ثم عرض لائمة الاصلاح الديني وأبان في عجالة موفقة عن مذاهبهم في الاصلاح ومناهجهم في تجديد أسلوب الفقه ليلائم روح التطور .. ويرضي مزاج الحياة .

وفي الباب الثالث : حدثنا المؤلف عن اعاجيب المنهج القرآني .. وكيف أمد الحياة بدفعة حضارية رائعة تجلت فيها انسانية الانسان وبرزت خصائصه فكان بذلك مخالفا لتلك الحضارات التي تسحق خصائص الانسان وتمتهن انسانيته .

اما الباب الرابع : فقد حدثنا فيه المؤلف عن ذوقيات رفيعة لتلك الحضارة القرآنية مؤكدا ان الذوق في حضارة القرآن تجربة رائعة عاشتها البشرية ـ وتأثرت بها الحياة كلها ، وقد كشف في هذا الموضوع عن أنماط من تلك الذوقيات الرفيعة التي أمد بها القرآن الحياة والاحياء ثم انتهى الى الحديث عن اثر الحضارة القرآنية في الغرب وما لحقها من فتور فوضح كيف انزلقت تلك الحضارة عن مرقاها العالي رويدا رويدا لتغيب وراء الافق تاركة عطرها وشذاها .. وأبان كيف تواطأ الغرب على افول تلك الحضارة .. التي انقذته من ظلمات الجهل وامدته بنماذج رائعة من ثمرات العلم التجريبي كانت دليلا يسير على هداه ..

ولا احب ان استعرض جميع فصول الكتاب لاعطي للقارىء فرصة للمراجعة الهادئة فيرى بعينه ثمرات شهية تساقطت من أغصان غضة يانعة ، وقد يضطر الى مخالفة الكاتب في بعض امور جزئية لا تمس الاصول الناهضة بكليات هذا البحث الطريف ولكنها مخالفة المغتبط المقدر لمجهود دسم يبذل في صمت بعيدا عن ضجيج الادعاء ، ونعرات الغرور ويدل على ان قلم الكاتب جدير بان يقدم في مستقبله المأمول أمتع الزاد ومشتهاه .

الرياض ـ كلية اللغة العربية محمد رجب البيومي

ديوان الاغاريد

للشاعر السعودي محمد بن علي السنوسي ـ ١٠٦ صفحات ـ حجم صغير ـ طبع دار الاصفهاني وشركائه بجدة

أهدى الي شاعر الجنوب في السعودية ، ورئيس بلدية جازان محمد بن علي السنوسي ديوانه الثاني ((الاغاريد)) ، الذي أعاد الى نفسي الطمأنينة التامة الى تفجر ينابيع الشعر العربي المطبوع الاصيل في الجزيرة العربية ، بعد ان جفت فيها مئات الاعوام . وكان الشاعر السعودي سعد البواردي قد أهدى لي دواوينه الثلاثة قبله فزرعت الغبطة في نفسي ، ثم جاء السنوسي فاراني ثمارها الناضجة الشهية على مائدة الالهام ، فتناول لبي أطايبها شاكرا مسرورا .

كتب مقدمة ((الاغاريد)) الاديب السعودي الاستاذ محمد سعيد العامودي ، فأعجبني دفاعه عن الشعر ، وقوله ان الحضارة الغربية أعطت الشعر والفنون الاخرى في عصرنا هذا عناية زائدة ، ثم وفى صاحب الديوان حقه من التقريظ والاعجاب ، وذكر بعض رواد الشعر العربي الحديث في مصر والعراق وسورية ولبنان والمهجر ، مهملا ذكر الشعراء الفلسطينيين الذين فجروا شعر الثورة على الاستعمار ، والاسى على الوطن السليب ، والحنين اليه والى ترابه ومائه وسمائه وهوائه .

ومع ان العامودي احسن كتابة المقدمة ، فانني أوثر ان يكتب الشاعر مقدمة دواوينه بنفسه ، لانه ادرى من سواه بشعره ، وبالظروف النفسية التي كان عليها عندما نظم كل قصيدة من قصائده . وكتاب المقدمات ـ مهما حاولوا ان يكونوا منصفين ـ لا بد لهم من غض النظر عن بعض الهفوات ، وتضخيم بعض الحسنات ، الذي يصل ببعضهم أحيانا الى وضع الشاعر على قمة الخلود مع المتنبي وشوقي، واجلاس الكاتب على عرش العبقرية مع ابن المقفع والجاحظ ، لان الشعراء والكتاب لا يطلبون من النقاد المشهورين كتابة المقدمات لدواوينهم وكتبهم ، الا اذا كانوا من اصدقائهم الحميمين ، الذين لا تطاوعهم اقلامهم في خدش ما نظمه صفيهم الشاعر ، وما دبجته يراعة خليلهم الكاتب ، ابقاء على صلات الود والصداقة بينهم ، وهذا هو الذي حملني على كتابة مقدمات جميع دواويني وكتبي ومعجمي بنفسي تاركا للنقاد والقراء ان يحاسبوني حسابا عسيرا ، اذا وجدوني قد نسبت الى نفسي حسنات مبالغا فيها .

يضم الديوان احدى وثلاثين قصيدة قصيرة ، فيها ٤٧٩ بيتا ، وقد أحسن الشاعر بنظم القصائد القصيرة ، التي كان طول اقصرها احد عشر بيتا ، واطولها واحدا وثلاثين بيتا ، وقد تراوح عدد أبيات القصائد التسع والعشرين بين اثني عشر بيتا وثمانية وعشرين . ولا نستطيع ان نقول ان نفس الشاعر في النظم قصير ، لان عصرنا الذي يقوم على السرعة ، ولا يترك وقتا طويلا لنا لقراءة القصائد الطويلة ، يفرض علينا ان نوجز في شعرنا ونثرنا . وهذا لا يعني أنني أنتقد الشعراء الذين ينظمون المطولات ، اذ قد يكونون من أصحاب الخيال المجنح ، وقد تكون مواضيع قصائدهم في حاجة الى الاطالة .

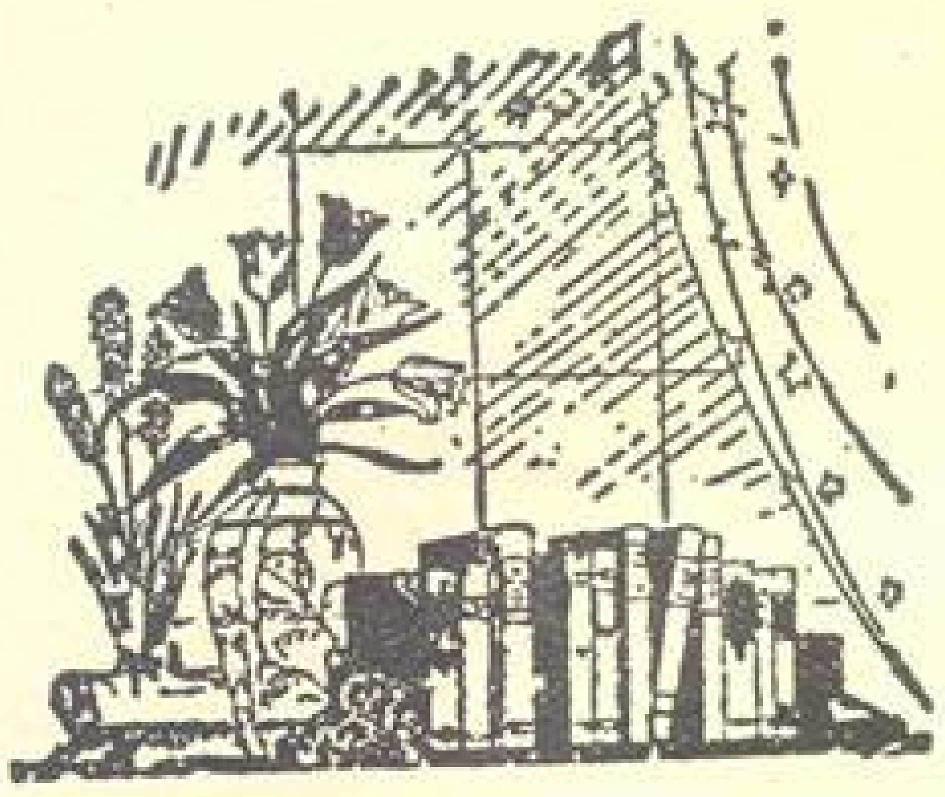
أما حسنات هذا الديوان فكثيرة ، فقصائده متينة السبك ، بحترية النسج ، وقصيدته ((هي الجزيرة)) يشع من ابياتها الايمان الصادق ، والاعتزاز بالعروبة ، وأدعو القارىء الى قراءتها كلها .

وفي قصيدته ((خلق المسلم)) يقول :

أتحاشى الشر جهدي ، فاذا ... لج في عسفي تحداه اعتسافي
خلق ورثنيه (احمد) ... فجرى ملء دمائي وشغافي
لم يزلزله على طول المدى ... بطش جبار ، ولا كيد ضعاف

فهي وصف ممتاز لذلك الخلق العظيم ـ باعتبار ما كان ـ ، لان جل المسلمين في العالم اليوم ، اما حلفاء للمستعمرين ، او نائمون على الضيم ، ومنصرفون عن استعادة الكرامة ، ومعاقبة اسرائيل على

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية

للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل. ل.

في الخارج العربي : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي

٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي

في سائر الاقطار : ١٠ دولارات بالبريد العادي

٢٥ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى

في الخارج : ٥٠ ل. ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

الادارة ٢٢٣٨١٩ — Dir : 223819

المنزل ٢٢٥١٣٩ — Dle : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول

البير أديب

اعتداءاتها التي مرغت بها سمعة العرب واخوانهم المسلمين بالرغام .

وقد أجاد وصف كسلنا وتخاذلنا بقوله :

نمنا ، وأسرى المدلجو ... ن ، وما عسى يجد النيام
طال الطريق بنا وضل ... وهد منكبنا الزحام
ولوى الطموح عنانه ... وانقد من يدنا الزمام
وتخاذلت همم النفو ... س ، فلا انطلاق ولا اقتحام
حال يغص بها الكرا ... م شجى ، ويبتهج اللئام

ويخيل الي ان الشاعر نظم هذه الابيات الخمسة بعين تذرف ، وقلب ينزف .

وفي قصيدته « انتصار الحرية » وفى النضال الجزائري حقه بقوله :

كان ايمانهم قويا فكانوا ... اقوياء ، رغم القوى الاطلسيه
الصراع الرهيب، والسجن، والتع ... ذيب ، والانتقام ، والبربريه
والعراك المرير، والقصف، والنس ... ف ، وتلك الملاحم الدمويه
والصواريخ ، والقنابل ، والال ... غام ، والطائرات ، والمدفعيه
كلها لم تحل عن الهدف السا ... مي ، ولم ترهب النفوس الابيه
يا لها أمة أعادت الينا ... ذكريات اليرموك والقادسيه

ويجيد وصف الطبيعة بقوله :

يا ربى لج بي هواها ، فما ينـ ... فك نشوان من هوى ملحاح
كم ترشفت من جمال لياليـ ... ك فتونا من الصبا والمراح
وتنشقت من جلال مجاليـ ... ك فنونا من الشذا الفواح
في الدجى والنجوم تغزل أحلا ... م العذارى على صدور البطاح
والضحى والغيوم ترسم في الوا ... دي ظلالا ندية الادواح

ويبدع في وصف جبل فيفاء ابداعا يجعلك تتمنى لو تسنمت قمته ، او تفيأت بسفحه حين يقول :

متحف من أشعة وظلال ... في اطار من نضرة واخضلال
سابح في الفضاء يغمره النو ... ر بفيض من السنا والجلال
يتحدى الذرى ، ويخترق السحـ ... ب ، ويزهو في عزة واختيال
يزحم النيرات منكبه الضخـ ... م ، ويحتك بالسهى والهلال
مشرئب الى السماء برأس ... صلف في شموخه متعال

وغزله عذري عفيف ، يدل على ذلك قوله :

ولو علمت أني ضحاها وفجرها ... لما احتجبت عن فجرها وضحاها
فلولا اغاريدي لما رف حسنها ... ولولا أناهيدي لجف صباها
فيا واحة الصادي حنانا ورقة ... لقد ظمئت نفسي وأنت حياها

ويحسن وصف القلم بقوله :

فأنت ، اذا أشرت ، يدي ... وأنت ، اذا صرخت ، فمي
وأنت نجي آهاتي ... وأناتي ، ونبض دمي
وأنت ، اذا بكيت أسى ، ... دموعي فضن في كلمي
وأنت ، اذا صبوت هوى ... وغنيت الهوى ، نغمي

وقصيدته « باقة الى عابرة » فيها رشاقة وأناقة ، وخفة دم ، ورقة ظل ، وأنصح هواة الشعر بقراءتها كلها هي والقصيدة الغزلية الرقيقة « ماء ونار » وقصيدة « هوية الانسان » التي تدل على الروح الانسانية التي يتجلى بها الشاعر . وأوصي وزراء الدول العربية ـ وهم اكثر من الهم في القلب ـ بقراءة قصيدته « صورة شعرية » لان فيها توجيها صالحا لاصحاب المعالي .

اما قصيدته « العقاد العملاق » فهي تدل على الوفاء ، لانه نظمها بعد وفاة عباس محمود العقاد ، الذي كان الكتاب والشعراء والنقاد يخشون قلمه اللاذع ولسانه الجارح ، واذا كان الوفاء لا يترعرع في ابناء الجزيرة ، منبته الاصيل ، فأين يترعرع ؟

وله قصيدة عصماء في وصف ابنه ، جاء فيها :

رفرف العصفور جنبي ... وزقا يطلب قربي
وأراق اللحن في سمـ ... عي ، فهز اللحن قلبي
يا لها من زقزقات ... غمرت بالخصب جدبي
لحنها أرخم من أر ... خم لحن مستحب
ومن القطر اذا غنى ... على أشواق عشب
ومن الهمسة ما بيـ ... ن حبيب ومحب

وأجاد وصف (الكتاب) بقوله :

خل وهبت له شبابي ريقا ... ووضعت بين يديه فكري مطرقا
طلق فما يلقاك الا باسما ... عن صفحتيه محدثا ومحدقا
أحببته طفلا ، وهمت به فتى ... وعشقته كهلا ، وزدت تعلقا
رفت على يده مناي وازهرت ... ونما بعينيه حجاي وأورقا
أشتاقه شوق الخمائل للندى ... وأذوب فيه صبابة وتشوقا
أستعذب السهر الطويل بقربه ... ويطيب لي ان يستريح وأأرقا

كما أحسن وصف العلم بقوله :

آمنت بالعلم اصلاحا ومنفعة ... وقد كفرت به اثما وطغيانا
أجله آية للخير صانعة ... وأزدريه سلاحا جل أوهانا

وله أبيات في الحكمة أعجبت بها كثيرا ، كقوله :

ومن حمل اليراع وكان جلدا ... على تبعاته ، أعطاه مجده

وقوله :

ليس الحضارة (صاروخا) و(قنبلة) ... ولا التمدن (اقمارا) و (أفرانا)
ان الحضارة اسماها وأرفعها ... أن تحسن المشي فوق الارض انسانا

أما ما سجلته على السنوسي الشاعر المطبوع من مآخذ بسيطة ، يمكنه ان يتجنبها كما يتجنب البستاني الماهر الشوك ، عندما يقطف الورد بمقصه ، فهي الآتية :

هنالك بضعة أخطاء مطبعية ، مثل (رفرفرت) و (الضفاف الرزق) و (روابها) و (دينا) و (أبا فؤادي) بدلا من : (رفرفت) و (الضفاف الزرق) و (روابيها) و (دنيا) و (أبى فؤادي) .

وهنالك خطأ مطبعي قبيح في قوله : (ينفع الصدى) بدلا من (ينقع الصدى) ، لان (ينفع الصدى) لها معنى آخر ، ونجد في الصفحة ٤٧ نفسها خطأ مطبعيا آخر هو : (لا فؤاد ولا يدا) بدلا من : (لا فؤادا ولا يدا) .

ومما يؤاخذ عليه الشاعر خلو ديوانه من الترقيم (،،. :

« » !؟) خلوا يكاد يكون تاما ، بحيث يكتنف الغموض المعاني التي ارادها ، او ينصرف الذهن الى معاني لم يردها ، كقوله :

وتنشق عـبير أرض ثراهـا   يستحـق العناق والتقبيلا

فقد قرأت الصدر باضافة (ارض) الى (ثراها) ، ولـو وضع الشاعر فاصلة (،) بعد (أرض) لنوناها ، وجعلنا الجملة الاسمية بعدها نعتا لها ، وهو ما يريده الشاعر . ولـو ضبط الشاعر أبياته بالشكل شبه التام (ونرضى منه بشكل آخر الكلمة وعين المضارع) ، لاراحنا من الشكوك التي تراودنا في بعض المعاني التي رمى اليها .

وقد نقرأ كلمة (يتيم) في قوله :

أقلب فيهـا الفكـر هيمان لا أرى   لغير هواها ما يتيم ، او يصبي

بفتح فكسر وتنوين الميم المضمومة ، بدلا من (يتيم) بضم ففتح فياء مضعفة مكسورة .

وفي الديوان بضع فواصل ، وضعت احداها خطأ في قوله :

وتضفي على، السحر والعطر والمنى   وتمنحني أنفاسهـا ونداهـا

ولو حذف الفاصلة ، ونقط الياء في (علـى) ، ووضع عليهـا شدة (ّ) مفتوحة ، لوقى كثيرا من القراء العثار عند قراءة بيتـه .

ويبدو ان مطابع الاصفهاني في جدة - رغم دقتها وشهرتهـا - لا تنقط الياء في أواخر الكلمات ، بحيث يلفظها كثير من القراء ألفا لا يـاء ، فلماذا نقع في نفس الخطأ الذي تقع فيه المطابع المصرية ؟

والمسافة الشاسعة جدا بين جازان وجدة ، حملت شخصا آخر غير شاعر - كما يبدو لي - على تصحيح الديوان مطبعيا ، اذ جعل البيت في قصيدة (اجنحة التاريخ) اما صدرا او عجزا ، فقال :

رفرفت أجنحة التاريخ في أفق بلادي   وتسامى رائع الوثبة جبار الطراد

مع ان هذا البيت هو بيتان من مجزوء الرمل .

وفي بيته الآتي :

نغمة مـن لغـة الانسـ   ـان في شرق وفي غـرب

خطأ ان بسيطان صوابهما نقل السين الى العجز ، وحذف (في) الثانية . واخطاء وضع حروف من الاعجاز في الصدور كثيرة في الديوان.

وهناك بضعة اخطاء لغوية ، ربما كانت السرعة في النظم سببـا لها ، لان لغة الشاعر قوية كديباجته . فمن تلك الاخطاء :

قوله : (لن يمحه) بدلا من (لن يمحوه) . وقوله :

سلوا راح عينيهـا وورد لماهـا   متى علمت أنـي صريع شذاهـا ؟

فاللمى سمرة في الشفة ، وليس للورد (بفتح الواو) نقط سمر.
ويصح ان يقول الشاعر : ورد (بكسر الواو) كماها ، ولكـن كلمة (شذاها) في العجز ترينا ان الكلمة يجب ان تكون ورد (بفتح الواو) المشهور بشذاه ، وليس للورد (بكسر الواو) واللمى شذا . ولـو قال : (صريع هواها) لجاز لنا ان نقول : ورد (بكسر الواو) لماها ، ونحن نعلم ان الهوى يمكن ان يصرع ، ولا نعلـم ان اللمى يمكن ان يصرع .

وقوله (باقة من زهر الروض) ، والصواب : طاقة .

وقولـه :

والذي يصنـع الرواية ايـا   ي واياك حلـوة أو كئيبـه

والصواب : (أنا وأنت) لانهما فاعل (يصنع) ، وهمـا ضميرا رفع ، بينما (اياي واياك) هما ضميرا نصب . وقوله :

يا ربيع الحياة هـل لك ان تحـ   ـنو على نغمة بـلا توقيـع

والصواب : بلا ايقاع ، ونحن نوقع (بكسر القاف) النغـم ولا نوقعه (بكسر القاف وتضعيفها) .

وقوله : لم تجد مزهرا يوقع (بتضعيف القاف) لحنا، والصواب: يوقع (بكسر القاف غير المضعفة) .

وهناك سنادان (السناد أحد عيوب القافية) في قولـه في فودي (بفتح فسكون) ، مع ان قوافي (الدال) في الابيات الاخرى مسبوق بحرف صحيح ، لا حرف علة .

ومما أنصح به الشاعر في دواوينه الجديدة هو ذكر التاريخ الذي نظم فيه كل قصيدة من قصائده ، مع المناسبة التي قالها فيها، والحالة النفسية التي كان عليها (اذا استطاع ذلك) ، لكي يساعد بهذه الامور الثلاثة مؤرخ الادب والناقد على الاقتراب من الحقيقة عندما يكتبان عنه.

وخلاصة القول في هذا الديوان أن طبعه أنيق ، وحروفه واضحة، وورقه من النوع الممتاز ، وناظمه شاعر عصامـي يزوده بالمعاني حس مرهف ، وفكر صاف ، ويختار له ألفاظه ذوق ادبي أصيل ، حمـل بعض المستشرقين على ان يترجموا له بعض قصائده الى اللغة الايطالية، وينشروها في مجلة الشعراء التي تصدر في روما .

ولا يدل شعره على ثقافة ادبية وعلمية جامعة عميقة ، لانه اكتفى بالمطالعة الكثيرة العربية ، فجاءنا بمعان بسيطـة ينتشر شذا العاطفة فيها من روض ديوانه بوضوح تام ، تاركا ثمار العقل الناضجة متوارية خلف حجاب كثيف ، كما كانت الحسان يتوارين في صدر هذا القرن .
ولعل ديوان الشاعر الثالث يبرز لنا معانيه سافرة بروز الفواني فـي هذه الايام .

وللشاعر السنوسي مني التحية والود .

محمد العدناني

•

مختارات الزهاوي : من عيون الشعر

جمعها عبد الرزاق الهلالي - وساعد المجمع العلمي العراقي على نشرها - (؟) صفحة - مطبعة (؟)

جميل صدقي الزهاوي ، من حملة تراث الشعر العربي في الربع الاخير من القرن الماضي ، والثلث الاول من هذا القرن . وعاش (٧٣) سنة ، وكانت وفاته سنة ١٩٣٦ ، فكان نصف حياته هنا والنصف الاخر هناك !

وصورته الشمسية اينما وقع نظرك عليها في كتاب او مجلة او صحيفة ، كادت تقول : ان الزهاوي يظهر من تجاعيد وجهه ، وتغضن بشرته ، كأنه ، دق باب التسعين ، من حيث لم يجاوز من الشيخوخة الا شبابها . ولم يظهر في وجه الرصافي من علامات السن العالية ، مثل ما ظهر في وجه الز هاوي . ولو ان الزهاوي ، وقد علا التجعد وجهه ، لقي من الاقدمين زملائه : زهير بن ابي سلمى ، او دريد بن الصمة ، او لبيدا ، لادرك ان شواطىء الرافدين ، ومفاتن (فروق) والبوسفور ، والقاهرة ، لا تنيل من طيب العيش ، اكثر من نجد وتهامة في الـزمن القديـم !!

عناصر الزهاوي ، اربعة : هذه التجعدات ، شعره ، فلسفتـه ، نظراته الكونيـة !!

للزهاوي ، مختارات من الشعر ، نفائس ، والاختيار ليس امرا هينا ، بل هو النسخة الثانية من الشاعر الذي اختار ! واهل الادب قديما وحديثا ، ينزلون الاختيار الشعري ، المنزلة العلية . ولم يـزل ديوان « الحماسة » لابي تمام ، يتهادى في هالته ، لما حفظ لنـا مـن مختار الشعر الجاهلي . وكثرت المختارات فـي العصور ، ولعـل « مختارات البارودي » التي طبعت في مصر سنة ١٩٠٩ ، في مجلديـن ضخمين ، من القطع الكبير ، مؤلفين من (٤) اجزاء ، عدد صفحاتهـا اكثر من (١٨٠٠) صفحة ، هي آخر ما وضع على هذا المستوى . وقد اختارها محمود سامي البارودي وانتهى من آخر قسم منها ، قبيل وفاته، وكانت وفاته سنة ١٩٠٤ ، بعد عودته من المنفى في سيلان بارع سنين !

ومختارات البارودي ، هي من شعر ثلاثين شاعرا ، هم فحـول المولدين ، ورتبهم حسب سبق الوجود في الحياة ، لا حسب المكانـة

الشعرية ، فكان اول الثلاثين ، بشار بن برد ، وآخرهم سبط بن التعاويذي ، وابن عنين . فالبارودي له ، حياتان في الشعر ، حياته في شعره ، هو ، وحياته في مختاراته !

كنت اتردد على ابراهيم سليم النجار ، في القدس ، سنة العشرين الى الثانية والعشرين ، وهو يصدر وقتها في بيت المقدس جريدة « لسان العرب » اليومية ، وهي اول جريدة ظهرت يومية في فلسطين . ولكنها لم تعش الا بضع سنين . والنجار من اقدر الصحافيين العرب الذين عرفت ، واديب متمكن . ولاحظت انه لم يكن عنده من الكتب الامهات ، الا « مختارات البارودي » ، وهذه للادب لا للسياسة ، فسألته : ولم يا استاذ ، تجر البارودي الى السياسة ، وهو رجل شعر ، وصاحب سيف ؟ فقال « ان لم اقرأ كل يوم في (المختارات) حصة احس بأن نقصني شيء » .

ولما اطلع السيد محمد رشيد رضا صاحب « المنار » على المختارات وقت طبعها ، وكان البارودي ، صديقه الحميم ، ومن قراء المنار الدائمين ! كتب السيد رشيد رضا ، كلمة ، في « المختارات » نشرت في اخر الجزء الرابع ، اثنى فيها على سلامة ذوق البارودي ، الثناء الفريد الذي يعلو الى مستوى البارودي !

ولكني لما طبع « ديوان البارودي » في ثلاثة اجزاء ، فكأنه اغتيل ، وغيب ، لا طبع ونشر ، ذلك لان من تولى اخراجه ، راح يشرح كل بيت او بيتين او ثلاثة ، في صفحة او اكثر ! وعندي من « ديوان البارودي » الجزء الثاني ، لا غير . فمثلا في كل عشرين صفحة لا يلقاك من شعر البارودي ، الا (١٨ – ١٩) بيتا ، والصفحات كلها ، شرح فضولي ، سطحي كأنه لطلاب المدارس الابتدائية . وفي الست مئة صفحة ، لا تجد اكثر من (٦٠٠) بيت للبارودي !!

وقد مهدت لنفسي بما تقدم لاقول بعد ذلك ، بلا تراخ ، ان الاستاذ عبد الرزاق الهلالي قام خير قيام برسالة مثلثة الجوانب .

اولا : انه احيا «مختارات الزهاوي» التي كان الزهاوي قد عني بها اختيارا ، ونشرا في الصحف في اوائل هذا القرن . ولكنها لم تنشر في كتاب ، في حياة الزهاوي ، ولا بعد وفاته . وهي مختارات ، فرائد ، جعل عنوانها « من عيون الشعر » وسنتناول هذه الناحية بعد قليل بشيء من التفصيل .

اما احياء هذه المختارات ، فلم يكن ممكنا بحال ، لو لم يتجرد الاستاذ الهلالي ، لهذا العمل الدقيق ، تجردا ، وان كان مجتناه شهد العسل ، فقد عانى في سبيله ابر النحل !

ثانيا : – باحياء هذه المختارات الزهاوية ، التي لا يزيد عدد ابياتها ، على خمس مئة بيت ، لشعراء ، جاهليين واسلاميين ، استطعنا في الثلث الاخير من القرن العشرين ، ان نطل على مذاقات ، مركبة من طيوب ، ومعادن مختلفة ، لمئة شاعر واربعة واربعين شاعرا ، كلهم نجوم ، وكلهم في العلالي . وهنا ترى صور نفوس ، واخلاق ، وحكمة ، وغرائم ، كل هذا ، منتقش في مخزون تراثنا .

ثالثا : – الناحية الفنية في الاخراج ، وحسن التنسيق وجمال الايراد . فالحديقة جميل زهرها ، المالىء مرجها زنبقا واقحوانا وياسمين !

ولكن ما هو اجمل ، ان ترى هذا كله في احواض ، على خطوط هندسية ، بين المشاكلة والمباينة ، باللون والطول والورق . والزهر آية ، ولكنه متى ما نسقته الصناعة في ظل الطبيعة ، تناهت الاشياء كلها الى الكمال .

وهنا ارى كتاب « الزهاوي من عيون الشعر » قد استوفى حظه من كل هذه المزايا ، وبدا ، هذا في كل صفحة من صفحاته ، واحاطته اناقة الترتيب ، واختلاف الحرف ، وقد قال الاديب الانكليزي « ارنولد بانيت » في كتاب له اسمه « الذائقة الادبية وكيف تربيها » قال : « انك اذا امسكت بيدك ، اي كتاب من كتب الادب على الاطلاق ، فانك وضعت يدك على ثلاثة اشياء متلاحمة في هذا الكتاب ، لا انفكاك لواحد منها عن الاخر بحال . وضعت يدك على ، فكرة ، وعلى اسلوب ، تتجسد به هذه الفكرة ، وعلى الشكل المحسوس الذي تراه عينك ، لهذا الشكل ، وهو فن الاخراج ! »

أعلمنا الاستاذ الهلالي في مقدمته الواعية ، امره بهذه العبارة في اول الكلام قال :

فقد تسنى لي الكشف عنه – هذا الاثر للزهاوي – واخراجه من بين طيات الصحف والمجلات العراقية الصادرة في مطلع هذا القرن ، على اثر قيامي بدراسة الحياة الادبية والفكرية لهذا الشاعر الكبير ، دراسة ادبية وتاريخية موسعة ! » وقال الاستاذ الهلالي عن نفسه في الحاشية ، مبشرا بقرب ظهور هذا الكتاب الذي عنوانه « الزهاوي في مواقفه الفكرية والادبية » والعربي بات يتطلع بشوق الى الزهاوي المدروس ، على يد الاستاذ الهلالي !

وعلمنا من الاستاذ الهلالي ايضا ، ان الزهاوي ، كان في سنة ١٩١١ ، والعرب يومئذ في ابان حركتهم السياسية ، وقد ذر قرن التركية الطورانية ، قد وضع مجموعة لمختارات له اسماها « عيون الشعر » ورأى وقتها ان يرسلها الى الدكتور محمد صبري مؤلف كتاب « شعراء العصر » وهي في نحو من (٧٠٠) بيت ، ابتغاء نشرها .. لقد ارسل مختاراته الشعرية الى الدكتور محمد صبري في القاهرة ، وقد يسأل قارىء عربي (سنه اربعة عقود او خمسة) ولماذا يرسل الزهاوي مجموعة مختاراته الشعرية من بغداد الى القاهرة ؟ والجواب ان الزهاوي انما ارسل بالمجموعة الى العاصمة الادبية التراثية الثقافية ! أيرسلها الى العاصمة السياسية التركية الطورانية ؟

لقد كان من الطبيعي الذي لا يقبل النقاش ، ان شاعرا فحلا ، عراقيا من قرح شعراء العرب ، كالزهاوي ، ومسرح افكاره ، وقتها مجلة « الهلال » لجرجي زيدان ، و « المقتطف » في مصر اذ رأى ، ان يرى مجموعة اختياراته الشعرية ، مطبوعة ، تزف الى العالم العربي فعليه ان يرسلها الى اصدقائه في مصر .

ولكن المجموعة وصلت ، الى الدكتور محمد صبري ، ولسبب ما لم ينشرها ، ولكنه قال كما اخبرنا الاستاذ الهلالي في مقدمته « لقد تفضل علينا جميل افندي الزهاوي الشاعر العراقي المشهور ، والفيلسوف النابغة ، فانتخب نحو (سبعمائة) بيت من الشعر العربي القديم وهي من اجوده ، سنشرحها ونطبعها بعد اتمام هذا الكتاب » ويؤخذ من هذا انه يقصد اتمام كتاب « شعراء العصر » . ولكن على كل حال ، لم تصدر مجموعة الزهاوي ، وفق ما قال الدكتور صبري ، ثم يقول الاستاذ الهلالي « وقد بقي السبب مجهولا حتى اماط عنه اللثام الاستاذ هلال ناجي في كتاب – الزهاوي وديوانه المفقود – الذي صدر في القاهرة سنة ١٩٦٣ » اي بعد اكثر من نصف قرن من الزمن . واني اقول الان في اوائل سنة ١٩٧٣ ، انه لا يهم العرب كثيرا ان يتفحصوا ذلك السبب الذي يتعلق بحافظ ابراهيم واسماعيل صبري ، وهما وقتئذ من اقمار الشعر في فلكه ، والزهاوي قمر العراق ، حل شعره بالوادي ، ويجري في مضمار الشعر مع السبق على خيول رمكه!

وجاءت الحرب الاولى بسنواتها الاربع ، فذهبت خرائط جغرافية ، واحدثت خرائط ، ومن اهم ما تبدل بنتيجة تلك الحرب ، انحلال الدولة العثمانية ، او التركية في النهاية ، وفك الاقطار العربية بالاسم ، تحريرا لها ، وبالواقع احتلالا لها وتقسيما وتجريدا ، وفي فلسطين خاصة تقييدا وتهويدا ، فعاد الزهاوي في آخر ١٩١٨ الى نيسان من ١٩٢٠ ، ينشر مقالاته « عيون الشعر » في صحف بغداد .. ثم يلقي شيئا من هذه (العيون) على مديري المدارس في بغداد بعد ذلك ، فكان جملة ما اورده في تضاعيف فصوله المنشورة في الصحف ، وما القاه في محاضراته (٦٨٣) بيتا ، وباخراج المكرر او ما في حكمه ، يستقر الباقي على ما يقرب من (٥٠٠) بيت !

هذا ما عني به الاستاذ الهلالي ، وحوله الى كتاب « مختارات الزهاوي من عيون الشعر » ودأب فيه جمعا وتحقيقا وترتيبا وتنسيقا ، تناهى فيه الذوق ، ونقول في هذا الموطن ان المجمع العلمي العراقي ، وسع الله في رواقه ، وجعل بركاته النامية مطلقة في جميع آفاقه ، ساعد على نشر هذا الكتاب ، المساعدة التي تقابل في جميع ديار العرب بالاكبار والاعظام !ونلاحظ في السني الاخيرة ، ان هذا المجمع ، الجامع للخير ، والفضل في العراق الحبيب ، كثيرا ما يولي عنايته جهود العاملين في ميادين الادب والتراث ، فيساعد على نشر القيم من الكتب ، فالشكر للمؤلف والشكر للمجمع ، ومهما يعظم فهو قليل .

١ ــ لم يؤخذ من الشاعر ، اكثر من بيتين او ثلاثة ، وهذا الاختيار القليل يجعل العربي ، المطالع ، ان يختزن هذين البيتين او الثلاثة ، واحيانا لا يزيد الاختيار على بيت واحد ، في ذاكرته او محفوظه . وهذه ثروة لا تقدر بثمن ، يلتهمها المطالع بيسر ، عفوا ، بل من حيث لا يدري !

٢ ــ لا ريب انه يتفق في كثير من الاحيان ، ان المطالع يحفظ هذه الابيات حفظا متباين المقادير والدرجات ، فحفظ المتمكن ، غير حفظ الشادي ، وغير حفظ المقتصر على مجرد الابيات ، ويفوته اسم الشاعر ، او القصة الناعمة اللطيفة التي تتعلق به .

٣ ــ هذه المميزات لهذا الكتاب ، بينها المؤلف او الجامع والمحقق الاستاذ الهلالي في مقدمته ، بغاية الوضوح ، فما عدا ايجاز ترجمة الشاعر ، والشعراء هؤلاء وهم اكثر من (١٤٥) شاعرا ، وما عدا ذكر القصة الداعية عند الشاعر ، فانه اغنى الهوامش بنحو من (الف بيت) له علاقة ، وكما يقول التعبير الحديث ، علاقة عضوية جد ملتحمة مع القصة الام ، وبحرف غير حرف الابيات ، وحرف المتن كبير ومحرك احيانا .

٤ ــ قد يكون بعض القراء الكرام ، وانا شاكر لطول اناتهم ، والنقد المقوم من قناتهم ، قد صبروا علي صبرا جميلا ، فالذين سبق لهم الاطلاع على هذا الكتاب ، ولو كانوا اهل الصناعة وامراء الحكم ، ولا اظن انهم يرمونني بغير الاستطراد ، هم على يقين ، مؤمنين ، ايماني ! والذين سيطلعون على هذا الكتاب مع الايام ، شيئا فشيئا ، سيدركون اني ما وصفت غير ما عاينت وتذوقت ، فحب الكتب غير حب الغواني والحسان ! فقد ترى زيدا متيما بدعده ، وترى زيدا آخر مشغوفا بهنده ، واذا سألت الاثنين ، اجابك كل منهما : ان حبيبه لم يخلق الله مثله احدا من الفاتنات ! ولكن الكتاب المعشوق ، لا تختلف فيه العشاق وان تباينوا بينهم في مقدار الهوى ، غير ان هوى الكتاب لا يحتاج الى دموع .

رأس المتن ــ لبنان　　　　عجاج نويهض

•

صناعة الكتابة

تاليف الدكتورين فيكتور الكك واسعد علي ــ ٤٨٤ صفحة ــ حجم كبير ــ دار غندور للطباعة والنشر والتوزيع (؟)

قرانا كثيرا عن فنون الكتابة ، وعن اساليبها ومضامينها ، واما « صناعة الكتابة » ، بما تطلبه من تقنية ، واصول ، ومران ، اسوة بالصناعات الاخرى القديمة منها والحديثة ، فموضوع لم نقرأ عنه الا مؤخرا ، حين تهيات لنا اسباب الاطلاع على كتاب جديد قيم اشترك في وضعه الاستاذ الدكتور فيكتور الكك رئيس قسم اللغة العربية وآدابها واستاذ الادب العربي والدراسات الفارسية في الجامعة اللبنانية ، والاستاذ الدكتور اسعد علي احد اساتذة الدراسات العليا في جامعة القديس يوسف ، والاستاذ المحاضر في كل من الجامعة اللبنانية وجامعة بيروت العربية .

والواقع ان هذا الكتاب الادبي الفني العلمي الحديث ، يتضمن كتابين معا : اولهما : مدخل الى صناعة الكتابة ، وثانيهما : صناعة الكتابة ، لكن التسمية العامة له جاءت من قبيل اطلاق الجزء على الكل ، بحيث ان المؤلفين ، بما بذلاه من جهد مشكور ، ومن حرص واضح على ابلاغ العمل الفني مرحلة الاتقان والابداع المتكاملين ، استطاعا ان يحيطا بجميع جوانب الموضوع الذي ادارا بحثيهما عليه ، احاطة شاملة تعكس مدى ما يتمرس به المؤلفان من الخبرة ، والدربة والمران الطويل .

و « صناعة الكتابة » ، كتاب جديد بكل ما تحتمله الجدة من معان . جديد في كونه ينظر الى علوم اللغة والادب والبلاغة نظرته الى قيم حضارية عظيمة ، فيبرئها مما علق في الاذهان عنها ، انها ليست سوى دمى محنطة في قبر من المرمر ، وينفض عنها غبار النسيان ، والتجاهل ، والتجني ، ويشذب ما نبا منها عن الذوق المعاصر ، ويوضح ما استغلق من جوانبها ، فلا تبقى اشبه بأرقام صماء عمياء بكماء ، بل تستعيد رونقها وزهوها ، وتلقى لدى القاريء اقبالا مشبوبا ممتزجا بالشغف والقبول الحسن .

والكتاب جديد ايضا فيما يهدف اليه من توثيق عرى الوحدة بين الانسان والادب ، كأنه ، في ذلك يستجيب للفكرة القائلة ان الاسلوب هو الانسان ، ونعني بالاسلوب هنا مجمل الفكر ، في شكله وفحواه ، وكأنه بالتالي يسعى سعيه الحثيث الى انكار نظرية الفن للانسان والمجتمع .

والكتاب جديد ، بعد هذا ، في ان مؤلفيه استاذان جامعيان ، عرفنا في كل منهما دأبه واخلاصه لما انتدب له من مهام ، كما عرفنا في كل منهما رحابة تجربته ، ورجاحة نظرته ، وسعة اطلاعه ، وهي حقائق تنعكس في كتابهما الجديد ، بمقدار ما تنعكس في سائر مؤلفاتهما الباقية .

و « صناعة الكتابة » يتميز بهذه الطريقة الاكاديمية المبسطة التي لا يهم صاحبها ان يقال عنه انه متمكن من مادته ، بمقدار ما يهمه ان يجعل المطلعين على طريقته في البحث ، قادرين على الاستيعاب الصحيح ، وعلى فهم ابعاد البحث واعماقه سواء بسواء .

ان مؤلفي الكتاب لم يعمدا الى الايجاز والتعميم في البحث ، كما يفعل ابن رشيق في كتابه « العمدة » الذي استقى منه المؤلفان بعض معلومات الكتاب ، بل تراهما يتبسطان في معالجة موضوعات كتابهما حتى تأتي منسجمة مع الدراسة الاكاديمية المنهجية الحديثة .

فاذا كان ابن رشيق يقول : « اللفظ جسم وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه ، ويقوى بقوته ، فاذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصا للشعر وهجنة عليه ، كما يعرض لبعض الاجسام من العرج والشلل والعور ، وما اشبه ذلك من غير ان تذهب الروح ، وكذلك ان ضعف المعنى واختل بعضه ، كان للفظ من ذلك اوفر حظ ، كالذي يعرض للاجسام من المرض بمرض الارواح .. » (العمدة ، لابن رشيق ، ص ١٢٤ ــ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ــ باب في اللفظ والمعنى) .

فان المؤلفين لا يكتفيان بأقوال تعميمية كهذه ، بل يوردان من الملاحظات ما لا يتسع المجال لايراده ، ولكنها ملاحظات تفصيلية حول ما يعنونه بتعبير « صناعة الكتابة » لجهة المعنى والشكل ، فالصناعة عندهما هي الجسد ، والكتابة هي المعنى ، واللغة مادة الصناعة وادواتها ، بدءا بالحروف ، فالكلمات ، فالجمل ، والفقر ، والقطع وانتهاء بالبناء الادبي وما يرافق ذلك كله من ايقاع موسيقي ، ومن وسائل تصويرية كعلامات الترقيم ومنها : النقطة والفاصلة والقاطعة والنقطتان وعلامة الاستفهام وعلامة الانفعال والشرطة والشرطتان

والقوسان والقوسان المركنان وعلامة الحذف وغيرها .

ومما يلفت الانتباه في « صناعة الكتابة » ، هذا الذوق الادبي الرفيع في اختيار النصوص الادبية الشعرية منها والنثرية ، دون ما تعصب للقديم لانه قديم ، ودون ما تحمس للجديد لانه جديد ، وانما بروح من الاصالة التي تقبل الجديد كما تقبل القديم ، متى تهيأت له اسباب الجودة ، والجمال الفني .

ان كتاب « صناعة الكتابة » ، المعد في الاصل للطلاب والباحثين الجامعيين ، لما يضاف الى المؤلفات اللغوية القيمة التي تغني المكتبة العربية ، وتسهم في تكريس الاصالة الفنية المبدعة .

فوزي عطوي

في مهب الريح

قصة ـ تأليف الياس قنصل ـ ٢١١ صفحة ـ حجم كبير ـ طبعت في بونس ايرس بالارجنتين

قصة بارعة ماتعة تأليف الاديب الالمعي والشاعر المهجري الاستاذ الياس قنصل طبعت في (بونس ايرس) سنة ١٩٧٢ وتضم ٢١١ صفحة من الحجم الكبير تكرم باهدائها الي المؤلف الفاضل وهي قصة انسانية اجتماعية وخلاصتها ان احد ابناء القرى القريبة من دمشق وهو فلاح فقير ساذج يدعى عساف دردش احب فتاة جميلة من بنات قريته تدعى سلمى سركيس اذ رآها على شاطىء النهر تملأ جرتها فتبعها وسألها عن اسم ابيها فقالت له سل أخي الصغير فلما سأله امتنع عن الاجابة فلم يزل يداعبه ويمازحه حتى قال له ان اسم ابيه منصور سركيس .

وغابت الصبية عن عيني عساف وقد شغفته حبا واخذ يتردد على النهر ثلاثة ايام متوالية ليراها فلم يوفق واخيرا شكا امره الى صديقه خليل جابر فاهتم بقضيته وبعد البحث والتنقيب علم ان منصورا واهل بيته سيسلقون الحنطة ومن عادة اهل القرية ان يساعد بعضهم بعضا في هذا الشغل ففرح الى صديقه وقال له سنمضي معا الى بيت منصور لنساعده في سلق الحنطة .

وفي اليوم التالي ذهبا الى المساعدة فاستقبلهما منصور وزوجته ورحبا بهما وسلماهما عملا في السلق فطفقا يعملان وعينا عساف تحدقان لرؤية حبيبته فلما رآها هش لها وهشت له وتبادلا كلمات الود ثم طلبت منه ان يحضر للمعاونة يوم جرش البرغل .

ولما قدم اهل البيت الطعام للذين اشتغلوا معهم رشت سلمى سكرا على (سليقة) عساف اكثر من غيره وفي يوم الجرش جاء عساف مع رفيقه للمعاونة ايضا وقد ازداد تبادل كلمات الحب بين الحبيبين وانتبه الى هذا احد ابناء محلتها وقد علم ان عسافا سيزور بيت الحبيبة استجابة لرغبتها فكمن له مع بعض اصحابه في ليلة الزيارة وعند مروره مع رفيقه هجم عليهما المعتدون فهرب رفيقه وبقي هو وحده يتلقى الضرب الموجع حتى وقع واغمي عليه فتركوه .

وعاد اليه رفيقه بعد ساعة ليتفقده فوجده في حالة اعياء والم فأسعفه بقدر امكانه واوصله الى بيته واتفقا على السفر الى دمشق للعمل فيها وقد نفذا اتفاقهما وحين وصولهما الى دمشق اتفقا مع احد متعهدي الابنية بالشغل عنده لقاء ثلاثة قروش يوميا وكانا يأكلان الخبز والبصل للتوفير حتى جمعا ستة وتسعين قرشا وكان هذا المبلغ منذ مئة عام شيئا يذكر .

وفي ذات يوم مر بهما فقير مسكين وسألهما عن مكان ينام فيه فعطفا عليه وآوياه عندهما فلما ناما سرق ما في حوزتهما من المال وكان مع عساف فلما استيقظا وعلما بالسرقة تأسفا وتلهفا واخذا يكدان ويجدان من جديد ثم رأى عساف ذلك السارق فامسك به ولم يتركه حتى استوفى حقه منه .

وبعد مرور شهرين على اغترابهما رجعا الى قريتهما فاستقبلت ام عساف ولدها بالبهجة والزغاريد وجاء الجيران وسكان الحي يهنئونه بسلامة الوصول وقدمت امه لهم (القضامة) كما هي العادة في ذلك الزمن وطلب عساف من امه ان تخطب له سلمى فلبت امه طلبه ووعدتها ام الفتاة بالقبول ولكن شابا غنيا تقدم لخطبة سلمى فقبل به ابواها وتركا عسافا فابتأس وتأثر ولكنه اعتصم بالصبر وطفق يشتغل في ارضه ثم فكر ان يشتري ارضا بالمال الذي جمعه فتم له شراء ارض محجرة غير مثمرة واخذ ينقيها من الحجارة وبينما هو منهمك باصلاح الارض عثر على شبه صخرة تراكم عليها التراب وبعد ان جرفه ظهر له صندوق خشبي فكشف غطاءه فاذا هو مليء بالنقود الذهبية فاخذ ينقله خفية الى بيته حتى نقل جميع ما في الصندوق بعلم امه فقط ثم اخذ ليرتين ذهبيتين الى الشام وعرضهما على صائغ اطمأن اليه فصرف له واحدة بنقد فضي وباعه بالثانية خاتما ذهبيا واستمر على صرف ليرات الذهب لدى ذلك الصائغ حتى تحول النقد الذهبي الى نقد فضي فاشترى لبيته اثاثا جديدا جيدا وصار له شأن بين الناس واشترى اراضي للزراعة .

ثم احب ان يتفقد سلمى فعلم انها منغصة العيش من زوجها وانه متضايق ماديا فذهب اليه عساف واشترى منه كل ما يملكه بثمن كبير ثم فكر بترشيح نفسه لوظيفة المختار فلما رشح نفسه ظل خصومه يهزأون به ويسخرون منه ويقولون هذا الفقير الفلاح الساذج المغمور يريد ان يكون مختارا وابتهج اصحابه وطفقوا يشيدون به وتريث الباقون بابداء الرأي واشتهر عساف بالكرم واكرام الناس ودعوتهم لضيافته ثم قدم للقائمقام هدايا كثيرة فوعده بالعمل لانتخابه مختارا وتم له بعد ان قاومه المختار السابق واتباعه مقاومة شديدة .

واقام عساف المهرجانات ودفع ما فرضته الدولة على الاهلين من اعانات لها .

ثم تشاجر الصباغ زوج سلمى مع جار له لان الاول كان يرمي الزبالة على ارض الاخر ويباده وفي ذات يوم اشتد الشجار بينهما فقتل الصباغ خصمه ولاحقت الحكومة القاتل ودفع عساف لام القتيل الدية اكراما لسلمى واشتدت الملاحقة على القاتل وقد رآته الشرطة فهرب منهم ووقع عن جدار وهو يقتحمه فمات وحزنت سلمى فرفه عنها المختار عساف وتزوجها وهكذا انتهت القصة البارعة وقد تخللت حوادثها فكاهات لطيفة ونوادر ظريفة عرضها المؤلف الالمعي بيراعه السيال وذهنه الوقاد يستمتع بها كل من يقرأها وتنويها بفضله اقدم اليه هذه الابيات :

أشيد بالياس قنصل من بعيد	اديب المهجر العلم الفريد
وشاعره المحلق والمجلي	بأجواء القوافي والقصيد
ومبدع اروع القصص السوامي	الى الجوزاء بالفكر السديد
ومادح اعظم الانام طرا	نبي العرب (١) ذي الفضل المجيد
بشعر غير ذي عوج قويم	زهـا بحلاه كالدر النضيد
فحيا الله شاعرنا المفدى	ودام بأطيب العيش الرغيد

(١) اشارة الى قصيدة الشاعر بعنوان (النبي العربي الكريم) وقد طبعها في كراس واهدى الي نسخة منها .

جبلة ـ سورية

رشاد علي اديب



ظهر حديثاً

● الارض اولا - تمثيلية - تأليف روكس بن زائد العزيزي - ٧٠ صفحة - حجم كبير - منشورات دار العرفان بصيدا وبيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .

● النموذج الثوري في شعر عبد الوهاب البياتي - اعداد عدنان حقي - الغلاف للفنان المصري بهجت - ١٦٠ صفحة - مطبعة الاديب البغدادية ببغداد .

● الجواهري شاعر العربية - تأليف عبد الكريم الدجيلي - الجزء الاول - يتناول هذا الجزء شعر الجواهري من عام ١٩٢٠ الى ١٩٣٠ - ٥١٢ صفحة - حجم كبير - ساعدت وزارة التربية والتعليم على نشره - مطبعة الاداب في النجف الاشرف بالعراق .

● المساعد - تأليف الاب انستاس الكرملي - حققه وعلق عليه ووضع فهارسه : كوركيس عواد وعبد الحميد العلوجي - الجزء الاول - ٤٢٠ صفحة - حجم موسوعي - منشورات وزارة الاعلام العراقية مديرية الثقافة العامة - سلسلة المعاجم رقم ٢ - دار الحرية للطباعة مطبعة الحكومة ببغداد .

● فيزا .. الى عالم جديد - مجموعة قصص - تأليف يوسف يعقوب حداد - ٩٦ صفحة - منشورات مطبعة حداد البصرة - مطبعة حداد بالبصرة العراق .

● ديوان عمر بن قميئة - عني بتحقيقه وشرحه خليل ابراهيم العطية - ١٢٠ صفحة - منشورات وزارة الاعلام العراقية مديرية الثقافة العامة - سلسلة كتب التراث رقم ٢٠ - دار الحرية للطباعة مطبعة الجمهورية ببغداد .

● العناب يتساقط - للشاعر الفيتنامي تو .. هو - ترجمة رجاء الارناؤوط - الغلاف للفنان مصطفى الارناؤوط - ٢٨ صفحة - منشورات دار الاجيال بدمشق - مطبعة دار الاداب والعلوم بدمشق .

● قانون حدي السرقة والحرابة في الجمهورية الليبية - ٧٢ صفحة - حجم كبير - منشورات دار التراث العربي ودار الفتح في ليبيا - (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الاصول العربية للدراسات اللبنانية : دليل ببليوغرافي بالمراجع العربية المتعلقة تاريخ لبنان - تأليف يوسف اسعد داغر الاختصاصي بعلم المكتبات والببليوغرافيا والتوثيق العلمي - ٧١٠ صفحة - حجم كبير - منشورات الجامعة اللبنانية قسم الدراسات التاريخية - مطابع حبيب عيد فرن الشباك لبنان .

● انتم يا من هناك - رواية - تأليف سهيلة الحسيني - ١٢٨ صفحة - ساعدت وزارة الاعلام العراقية على طبعها - منشورات دار الاتحاد ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .

● العانس العاشقة - قصة - تأليف محمد غازي عرابي - ٢٦٤ صفحة - منشورات دار الجيل ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .

● فهد العسكر : حياته وشعره - تأليف عبد الله زكريا الانصاري - الطبعة الثالثة - ٣٧٠ صفحة - حجم كبير - مطابع الرسالة بالكويت .

● العالم بين قوسين - قصص قصيرة - تأليف صنياء قصبجي - الغلاف للفنان مصطفى ارناؤوط - ١٤٤ صفحة - منشورات دار الاجيال بدمشق - مطبعة دار الاداب والعلوم بدمشق .

● تأثير المدح والذم على تحصيل الطلاب الانبساطيين والانطوائيين - رسالة ماجستير من جامعة بغداد في علم النفس - ١١٤ صفحة - حجم كبير - ساعدت وزارة التربية على نشره - مطبعة سلمان الاعظمي ببغداد .

● الفهرست الحادي عشر لمكتبة المثنى في بغداد - ٦٤٠ صفحة - مطابع لبنان ببيروت .

● عروبة فلسطين في التاريخ - تأليف محمد اديب العامري - تقديم الدكتور ديمتري برامكي - ٢٢٢ صفحة - حجم كبير - منشورات المكتبة العصرية في صيدا وبيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اغنيات للارصفة البالية - مجموعة شعرية - اسماعيل عامود - مصمم الغلاف يوسف عبدلكي - الرسوم لاسكندر لوقا - الخط لمحمد قنوع - ١٠٨ صفحة - منشورات دار دمشق بدمشق - (لم يذكر اسم المطبعة) .

● احياء الاراضي الموات : دراسة فقهية مقارنة بالقانون - تأليف محمود المظفر ماجستير في الشريعة الاسلامية - ٤٠٠ صفحة - حجم كبير - المطبعة العالمية بالقاهرة .

● التأميم : بحث علمي حقوقي في التاميم ، اهم قوانين التاميم في البلدان العربية - تأليف حسيب نمر - تقديم المحامي يوسف عالم - طبعة ثانية - ١٢٠ صفحة - دار الطباعة اللبنانية ببيروت .

● الاسلام في وجه الزحف الاحمر - تأليف محمد الغزالي - ٢١٠ صفحة - حجم كبير - منشورات المكتبة العصرية في بيروت وصيدا - (لم يذكر اسم المطبعة) .

● فلاسفة الحكم في العصر الحديث - تأليف عباس محمود العقاد - ١٥٤ صفحة - حجم كبير - منشورات المكتبة العصرية في بيروت وصيدا - (لم يذكر اسم المطبعة) .

● حدث كما حدث ولكن لم يحدث اي حدث ، الطبول الخرساء في الاودية الزرقاء - تأليف اوزوريس - الغلاف والرسوم لاميرة فهمي - ٧٢ صفحة - منشورات جماعة المسرح الطليعي - سلسلة ادب الجماهير - (صدر في الاسكندرية) - (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الشمعة تحترق - تأليف الدكتور غرة الله همايونفر - ترجمة سعيد علي - مصمم الغلاف برويز جاويدي - ٦٢ صفحة - مطابع زيبا بطهران .

● منطقة البوكمال في محافظة دير الزور ، سورية - تأليف عبد القادر عياش صاحب مجلة صوت الفرات ورئيس تحريرها - ٧٢ صفحة - حجم كبير - الكتاب ٢٤ في سلسلة المدن الفراتية القديمة في سورية - مطابع الف باء الاديب بدمشق .

● حب عمر ابن ابي ربيعة وشعره - تأليف الدكتور جبرائيل جبور استاذ شرف في الادب العربي بجامعة بيروت الاميركية - ٦١٦ صفحة - حجم كبير - منشورات دار العلم للملايين ببيروت - (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الشارع ، المدينة ، الرقم - مجموعة شعرية - هدى اديب - الغلاف واللوحات بريشة الفنان جان خليفة - ١٢٨ صفحة - مطابع المؤسسة التجارية (بيروت) .

● اعواد الثقاب - مجموعة قصص - تأليف سلمى لحام - ١٩٢ صفحة - (صدر في دمشق) - (لم يذكر اسم المطبعة) .

● مصرع غرناطة - مسرحية شعرية من اربعة فصول - تأليف عدنان مردم بك - ١٢٨ صفحة - منشورات عويدات ببيروت - مطابع مؤسسة خليفة للطباعة ببيروت .